اللَّمَسَاتُ الْبَيَانِيَّةُ

للتَّقْدِيمِ وَالتَّأْخِيرِ فِي آيَاتِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

(دِرَاسَةٌ أُسْلُوبِيَّةٌ)

إعداد الدكتورة

منى البدري السيد أحمد

المدرس بقسم التفسير وعلوم القرآن

كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات

سوهاج ، جامعة الأزهر

اللمسات البيانية للتقديم والتأخير في آيات القرآن الكريم "دراسة أسلوبية"

منى البدري السيد أحمد.
قسم التفسير وعلوم القرآن ، كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بسوهاج ، جامعة الأزهر، مصر.
البريد الالكتروني: monabadri.79@azhar.edu.eg

الملخص:

تهدف الدراسة إلى بيان دقة القرآن الكريم في وضع الألفاظ ورصفها بجنب بعض دقة عجيبة، مُراعِى فيها سياق الكلام، ثم الاستشهاد ببعض الأمثلة الواردة في كتاب الله ــ عز وجل ــ على التقديم والتأخير، وأن القرآن الكريم لم يُقدم ولم يُؤخر إلا لحكمة ظاهرة بينة، وهل إدراك الحكم من التقديم والتأخير يتسنى لكل أحد أم يختص به العلماء، وقد اتبعت في هذا البحث المنهج التطبيقي، لكنه لا يخلو من الاستعانة بالمنهج التحليلي الاستقصائي والوصفي، ومن أهم نتائج البحث: أن التقديم والتأخير عمليتان مُتلازمتان لا تقع الأولى إلا بالثانية والعكس.، وأن تقديم ما أصله التأخير، وتأخير ما أصله التقديم، أو تقديم شيء على آخر أو تأخيره عليه، للتنويه على أن ذكر المقدَّم أهم من ذكر المؤخر وهو منوط بفوائد جليلة ولكل ذلك سبب وقصد.

الكلمات المفتاحية: التقديم، التأخير، اللمسات البيانية، السياق، أهمية المُقدم، السبق الزمني .

The Clarifying Aspects of Fronting and Postponement in the Verses of the Holy Quran- A Stylistic Study

Mona Al-Badri As-Sayed Ahmed .

Department of Exegesis and Quran Sciences, Faculty of Islamic and Arabic Studies for Girls, Al-Azhar University, Sohag, Egypt.

Email: monabadri.79 @azhar.edu.eg

Abstract:

The study aims to show the accuracy of the Holy Quran in the choice of words and their arrangement in a noticeable accuracy, taking into account the context of speech ،and then citing some examples which are mentioned in the Quran - for fronting and postponement, and that the Holy Quran do not front an element or postpone it except for clear apparent wisdom, and whether the realization of the judgment of fronting and postponement is possible for everyone or for scholars only. In this research, the applied approach was followed, together with the investigative, descriptive and analytical approaches. One of the most important results of the research is that fronting and postponement are two concomitant processes that the first only falls if the second occurs and vice versa. Moreover, the fronting of what to be postponed or postponing what to be fronted, or the process of fronting and postponement for any element, all of these processes are done for great benefits and all these have a reason and purpose.

Keywords: Fronting, Postponement, Clarifying Aspects, Context, Importance the Fronted Element, Time Priority.

المُقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

الحمدُ للهِ رب العالَمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، إله الأولين والآخِرين، الملك الحق المبين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، مَن بعثه الله رحمة للعالمين، وهداية للخلق أجمعين، وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين، وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.

أَمَّا بَعْدُ،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،

فإن علوم القرآن طائفة من المعارف تتصل بالقرآن الكريم من جوانب عديدة، موضوعها القرآن الكريم، ولا بد من الوقوف على تلك العلوم؛ فهي مُقدمات لتفسير القرآن وفقه معناه، والإلمام بما يعرف الإنسان بسمو ما احتواه القرآن تعبيرًا وتشريعًا، أسلوبًا يُوصل إلى الهداية التي هي أقوم.

والمُتأمل في القرآن الكريم يندهش لروعة ما يقف عليه، ويتبين له من مكنونات وأسرار، تأسر العقول وتهتز لها النفوس وتنتشي طربًا.

فتقديم كلمة في آية، وتأخيرها في أخرى، يُعطي معنى ثانيًا غير المعني الذي تُعطيه الألفاظ. ولا يتقدم اللفظ في القرآن ذكرًا، أو يتأخر إلا لمُوجب وغرض، علمه من علم، وجهله من جهل.

وقد تعرض السلف لموضوع التقديم والتأخير في القرآن الكريم، ووردت عنهم أخبار في هذا الخصوص، تؤكد وجود هذا الأسلوب في القرآن، وتكشف شيئًا من أمره، وبحث العلماء أسلوب التقديم والتأخير في القرآن الكريم، وكشفوا النقاب عن حقيقته والغاية منه، وبينوا أغراضه وأنواعه، ونوهوا بقيمته البيانية والبلاغية.

ولما كان التقديم والتأخير لغرض بلاغي، ولِسرّ من أسرار التعبير، يُكْسِبُ الكلامَ جمالًا وتأثيرًا؛ لأنه سبيلٌ إلى نقل المعاني في ألفاظها إلى المُخاطبين، كما هي مُرتبةٌ في ذهن المُتكلم حسب أهميتها عنده، فيكون الأسلوب صورة صادقة لإحساس المُتكلم، وصدقِ مشاعره وقع اختياري على هذا الموضوع الذي اسميته **(اللَّمَسَاتُ الْبَيَانِيَّةُ للتَّقْدِيمِ وَالتَّأْخِيرِ فِي آيَاتِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ – دِرَاسَةٌ أُسْلُوبِيةٌ).**

ومن الأسباب التي دفعتني إلى اختيار هذا الموضوع:

١- أن مفهوم التقديم والتأخير من الأبحاث المُهمة في علم البلاغة ومعرفتها تجعل المُتعلم قادرًا على تذوق المعاني الجديدة التي تنطوي عليها الجمل.

٢-أن موضوع التقديم والتأخير في القرآن شغل المُفسرين قديمًا وحديثاَ، وسيبقى كذلك إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

٣- التقديم والتأخير مِن أوسع أساليب القرآن وأكثرها في كافَّة السياقات، كما أنه سمة أسلوبية لها عظيم الأثر في روعة الأسلوب وبلاغته.

أهداف البحث:

يهدُف البحث لتحقيق الأمور الآتية:

١- بيان دقة القرآن الكريم في وضع الألفاظ ورصفها بجنب بعض دقة عجيبة، مُراعِى فيها سياق الكلام، والاتساق العام في التعبير على أكمل وجه، وأبهى صورة.

٢- الاستشهاد ببعض الأمثلة الواردة في كتاب الله – عز وجل –، على التقديم والتأخير وإن كانت كثيرة جدًا لكن نكتفي ببعضها.

٣- بيان أن القرآن الكريم لم يُقدم ولم يُؤخر إلا لحكمة ظاهرة بينة.

أهمية البحث:

التقديم والتأخير من أهم وجوه إعجاز النظم في القرآن الكريم؛ لأنه أحد طرق الكشف في هذا الكلام المعجز، وهو من أهم مباحث علم المعاني[١]، الذي يبحث في بناء الجمل، وصياغة العبارات، ويتأمل التراكيب؛ لكي يبرز ما يكمُن وراءها من أسرار ومزايا بلاغية.

مُشكلة البحث:

جاءت هذه الدراسة لتُجيب عن الأسئلة الآتية:

١- ما المقصود بالتقديم والتأخير وما أهميته؟ وما أغراضه؟

٢- هل للتقديم والتأخير لمسة بيانية؟ وما الحكمة من تقديم كلمة في موضع وتأخيرها في موضع آخر في بعض آيات القرآن الكريم؟

٣- هل إدراك الحكم من التقديم والتأخير يتسنى لكل أحد أم يختص به العُلماء؟

منهجي في هذا البحث:

الأصل في المنهج الذي يقوم عليه هذا البحث أنه منهج تطبيقي، لكنه لا يخلو من الاستعانة بالمنهج التحليلي[٢] الاستقصائي[٣].

---

(١) **علم المعاني والبيان:** هو تتبع خواص تراكيب الكلام في الإفادة وما يتصل بها من الاستحسان وغيره؛ ليحترز بالوقوف عليها عن الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضي **ينظر:** مفتاح العلوم المؤلف: يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي الخوارزمي الحنفي أبو يعقوب (المتوفى: ٦٢٦هـ) ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان الطبعة: الثانية، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م ج/ ١، ص/ ١٦١.

(٢) **المنهج التحليلي:** هو منهج يقوم على دراسة الاشكالات العلمية المختلفة تفكيكًا أو تركيبًا أو تقويمًا. أبجديات البحث في العلوم الشرعية د فريد الأنصاري ص/ ٩٦ / طبعة الدار البيضاء ١٩٧٧م.

(٣) **الاستقصاء:** هو أحد الطرق التي تتبع للإلمام بالشيء ومعرفته. المصدر السابق ص/١٠٣.

والوصفي[١]، وحُدِد البحثُ بما قُدم في موضع وأُخر في موضع؛ فاخترت منها الأمثلة التطبيقية من الآيات الكريمة.

خطوات البحث:

- جمع بعض الآيات القرآنية الكريمة التي جاءت بتقديم كلمة في موضع وتأخيرها في موضع آخر.
- وضع عنوان مُناسب لكل مبحث من المباحث.
- الحديث عن المبحث بطريقة علمية من خلال القرآن الكريم مع التدعيم بأقوال علماء التفسير وعلوم القرآن.
- عزو الآيات القرآنية إلى سورها.
- توثيق الأقوال المنقولة عن العلماء بعد الرجوع إلى مراجع التفاسير وعلوم القرآن للوقوف على ما يُناسب موضوع الآيات من أقوالٍ بما يتناسب مع الموضوع.

---

(١) **يُعرف المنهج الوصفي بأنه:** عبارة عن طريقة لوصف الموضوع المراد دراسته من خلال منهجية علمية صحيحة، وتصوير النتائج التي يتم التوصل إليها على أشكال رقمية معبرة يمكن تفسيرها" وتعريف آخر "إنه وصف دقيق وتفصيلي لظاهرة أو موضوع محدد على صورة نوعية أو كمية رقمية، ويعتبر الوصف ركنا أساسيا من أركان البحث العلمي، ومنهجه من أهم المناهج المُتبعة فيه، إذ إن الباحث الذي يرغب في الوصول إلى نتائج علمية يعتمد عليها لا بد من أن يحرص على وصف الوضع الراهن للظاهرة، وذلك برصدها وفهم مضمونها والحصول على أوصاف دقيقة وتفصيلية لها بغية الإجابة عن الأسئلة التي يطرحها والمشكلات التي يدرسها. **ينظر: البحث العلمي أساسياته النظرية وممارسته العملية المؤلف: رجاء وحيد دويدري / الناشر: دار الفكر المعاصر- بيروت- لبنان- دار الفكر- دمشق-سورية / الطبعة: الأولى - جمادى الآخرة ١٤٢١ هـ- أيلول سبتمبر ٢٠٠٠م، ج /١، ص/ ١٨٣.**

- شرح غريب الألفاظ والمصطلحات إن وجد.
- ذكرت في الهامش اسم الكتاب والمؤلف والجزء والصفحة، وتاريخ النشر وسنة الطبع عند ذكره لأول مرة، أما بعد ذلك فأذكر اسم الكتاب والمؤلف والجزء والصفحة فقط..
- وضع رموز في هامش البحث وهي على النحو التالي ج: جزء، ص: صفحة، ح: حديث.
- إخراج موضوع (اللَّمَسَاتُ الْبَيَانِيَّةُ للتَّقْدِيمِ وَالتَّأْخِيرِ فِي آيَاتِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ) في صُورة مُتكاملة.

خُطتي في هذا البحث.

وقد اقتضت طبيعة البحث أن يكون في مُقدمة – وتمهيد – وأربعة مباحث وخاتمة – وفهرس للموضوعات والمراجع – عرضت في المقدمة: لمحة سريعة عن مضمون هذا البحث ومحتواه –، وأسباب اختياري للموضوع، ومنهجي في البحث.

أما التمهيد؛ فيدور الحديث فيه عن: (بيان معنى التقديم والتأخير لغة واصطلاحًا، وأهمية التقديم والتأخير، وأغراضه).

المبحث الأول: التقديم والتأخير وعلاقته بالسياق في آيات الإنس والجن.

المبحث الثاني: التقديم والتأخير ودلالته على أهمية المُقدم في آيات السمع والبصر.

المبحث الثالث: التقديم والتأخير وعلاقته بالسياق في آيات السماء والأرض.

المبحث الرابع: التقديم والتأخير ودلالة المُقدم على السبق الزمني. في آيات اللهو واللعب.

أما الخاتمة فجاءت مُلخصة لأهم النتائج؛ لهذا الموضوع الذي توصلت إليه، وأهم التوصيات والمُقترحات التي رأيت فيها إثراءً للمكتبة التفسيرية، خدمةً لكتاب الله العزيز، وسنة حبيبه – صلى الله عليه وسلم –).

أما الفهارس فجعلتها في نهاية البحث؛ لتثبيته وتوثيقه وتسهيل الاستفادة منه. وهي على النحو التالي"

١– فهرس المصادر والمراجع مُرتبة على حروف الهجاء للمصادر والمراجع، وليس على أسماء المؤلفين.

٢– فهرس الموضوعات مُرتبة علي حسب المُوضوعات الواردة في البحث.

والله أسأل أن يتقبل عملي هذا بقبول حسن، وأن يجعله خالصًا لوجهه الكريم؛ إنه ولي ذلك والقادر عليه، وهو نعم المولي ونعم النصير.

الدراسات السابقة:

من خلال الاطلاع على الرسائل العلمية التي لها صلة بموضوع بحثي وجدت أن لهذا البحث دراسات سابقة، فقد تناوله الباحثون من قبل، ولكن بعضها كان متوسعًا في شواهده المختارة من القرآن الكريم كله، مما يصعُب نشر مثل تلك الأعمال الجليلة في بُحوث المجالات المُحكمة والمُركزة، منها.

- دراسة الدكتور: محمود السيد شيخون في أسرار التقديم والتأخير في لغة القرآن الكريم.
- ومنها دلالات التقديم والتأخير في القرآن الكريم دراسة تحليلية للدكتور منير محمود المسيري ٧٦٦ صفحة.
- ومنها أطروحة ماجستير بعنوان الأسرار البلاغية للتقديم والتأخير في سورة البقرة: دراسة تطبيقية لخالد بن محمد بن إبراهيم العثيم، من جامعة أم القرى بمكة المكرمة، وقد جاءت في ٥٢٣ صفحة، وقد اتسعت هذه الدراسة

بسبب التمهيدات والفهارس، والإطالة في سرد النصوص من أقوال العلماء ومناقشتها، وكذلك الاستعانة بالشواهد القرآنية من السور الأخرى، فبحثي بالتركيز الذي اخترته، والتحديد الذي انتهجته، من خلال التقيد بموضوع التقديم ً والتأخير وحصره بما قُدم في موضع وأُخر في موضع جعلني أكثر التزاما بمادة علمية مُقدمة للنشر في مجلة مُحكمة.

التمهيـــد

ويشتمل على: بيان معنى التقديم والتأخير لغة واصطلاحًا، وأهمية التقديم والتأخير، وأغراضه.

أولًا: مفهوم التقديم والتأخير في اللغة والاصطلاح:

التقديم في اللغة: مشتق من الجذر الثلاثي (قدم) مصدر مُتَعَدٍّ وَهُوَ نقل الشَّيْء من مَكَانَهُ إِلَى مَا قبله، جاء في كتاب العين: "والقُدْمَة والقَدَمُ أيضًا: السابقة في الأمر، وقوله تعالى: ﴿ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ (١)، أي: سبق لهم عند الله خير، وللكافرين قَدَمُ شر... والقِدَمُ مصدر القديم من كل شيء، وتقول: قَدُمَ يَقدُمُ. وقَدَمَ فلان قومه أي: يكون أمامهم(٢).

أما التأخير: فهو مشتق من الجذر الثلاثي (أخر)، وهو نقل الشَّيْء من مَكَانَهُ إِلَى مَا بعده وقد جاء في المعاجم العربية: التَّأْخِير: ضد التَّقديم، ومُؤَخَّرُ كُلِّ شَيْءٍ: خلاف متقدَّمه(٣).

---

(١) [يونس:٢].

(٢) كتاب: العين المؤلف: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: ١٧٠هـ) المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي الناشر: دار ومكتبة الهلال ج/ ٥، ص/ ١٢٢، باب القاف والدال والميم..، ودستور العلماء جامع العلوم في اصطلاحات الفنون المؤلف: القاضي عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد نكري (المتوفى: ق ١٢هـ) عرب عباراته الفارسية: حسن هاني فحص / الناشر: دار الكتب العلمية – لبنان/ بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م ج/ ١،ص/ ١٨٢.

(٣) المحكم والمحيط الأعظم المؤلف: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسى [ت: ٤٥٨هـ] المحقق: عبد الحميد هنداوي الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠٠ م. مادة (ء خَ ر) مقلوبة. ج/ ٥، ص/ ٢٣٥.

أو مُقَدَّمِه. يُقَالُ: ضَرَبَ مُقَدَّمَ رأْسه ومؤَخَّره(١). والمُقَدَّمُ: نقيض المؤخَّر(٢). وَقُدَّامُ خِلَافُ وَرَاءَ (٣).

إذًا فالتقديم والتأخير متضادان، فالتقديم لغة: هو السبق والأولوية، **والتأخير لغة:** خلاف التقدم، ولذلك فإن المعاجم لا تذكر أحدهما بدون الآخر عند تعريف كل منهما كما رأينا.

أما التقديم والتأخير اصطلاحًا، فنجده مرتبطًا بمعناه اللغوي السابق، بالإضافة إلى النظر إلى الأصل في التركيب اللغوي، كونه جملة اسمية مُكونة على الترتيب من مبتدأ وخبر، أو جملة فعلية مُكونة على الترتيب من فعل وفاعل ومفعول به، وعليه فإن أي تغيير في هذا الترتيب يُعدُّ تقديمًا وتأخيرًا في أصل التركيب وعدولًا عنه.

والتقديم والتأخير اصطلاحًا هو: تقديم الشيء وتحويله من مكان إلى آخر،. قال الجرجاني في دلائل الإعجاز في تعريفه: :هو تحويل اللفظُ عن مكانٍ إلى مكان" (٤).

---

(١) لسان العرب المؤلف: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقي (المتوفى: ٧١١هـ) الناشر: دار صادر – بيروت / الطبعة: الثالثة – ١٤١٤ هـ ج/ ٤، ص/ ١٢، مادة (أخر).

(٢) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية المؤلف: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ) تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار الناشر: دار العلم للملايين – بيروت الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م، ج/ ٥، ص/ ٢٠٠٨. مادة [قَدِمَ].

(٣) تهذيب اللغة المؤلف: محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ) المحقق: محمد عوض مرعب الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م ج/ ٦، ص/ ٥٦. مادة [قَدِمَ].

(٤) كتاب دلائل الإعجاز المؤلف: أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (المتوفى: ٤٧١هـ) المحقق: محمود محمد شاكر أبو فهر الناشر: مطبعة المدني بالقاهرة – دار المدني بجدة الطبعة: الثالثة ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م، ج/ ١، ص/١٠٦.

وعلى هذا فهو "تقديم جُزء من الكلام حقُّه أن يتأخر، وتأخير جزء من الكلام حقُّه أن يتقدم؛ لغرض بلاغي.

وعليه فان التقديم والتأخير عُنصران مُتصلان، فليس لنا أن نقدم شيئا إلا بتأخير الأخر والعكس صحيح؛ لهذا كانا محط اهتمام للعلماء منذ القدم.

ثانيًا: أهمية التقديم والتأخير:

التقديم سمة أسلوبية لها عظيم الأثر في روعة الأسلوب وإبرازه في صورة حكيمة من الوفاء بالمعاني ومُطابقتها لمقتضى الحال، سواءً أكانت هذه الحال ملاحظًا فيها جانب المُخاطبين، أو جانب المُخاطب، وهو من أقدر الفنون على كشف خبايا النفوس وسبر غورها. ويطوع المعاني للاعتبارات المُناسبة التي يراها البليغ حرية بالكلام. وقد أولاه علماء البلاغة عناية فائقة باعتباره أحد أصول علم المعاني الذي به تُعرف أحوال اللفظ العربي التي بها يُطابق مُقتضى الحال(١).

أهمية التقديم والتأخير عند علماء البلاغة:

يقول الإمام عبد القاهر الجرجاني مبينًا أهمية هذا الأسلوب:" هو بابٌ كثيرُ الفوائد، جَمُّ المَحاسن، واسعُ التصرُّف، بعيدُ الغاية، لا يَزالُ يَفْتَرُّ لك عن بديعةٍ، ويُفْضي بكَ إلى لَطيفة، ولا تَزال تَرى شِعرًا يروقُك مسْمَعُه، ويَلْطُف لديك موقعُه، ثم تنظرُ فتجدُ سببَ أَنْ راقكَ ولطفَ عندك، أن قُدِّم فيه شيءٌ، وحُوِّل اللفظُ عن مكانٍ إلى مكان" (٢).

---

(١) خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية (رسالة دكتوراه بتقدير ممتاز مع مرتبة الشرف الأولى) المؤلف: عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني (المتوفى: ١٤٢٩هـ) الناشر: مكتبة وهبة / الطبعة: الأولى، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م، ج/ ٢، ص/ ٧٩.

(٢) كتاب دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني، ج/١ ص/١٠٦.

أهمية التقديم والتأخير عند علماء التفسير:

أكد جلُّ المفسرين وجود هذا الأسلوب في القرآن الكريم، وعبارتهم في هذا الصدد كثيرة، كقولهم: "هو على التقديم والتأخير"، وقولهم: "في الآية تقديم وتأخير"، وقولهم: "هو من المقدَّم الذي معناه التأخير.

قال الزركشي فِي التَّقْدِيمِ وَالتَّأْخِيرِ :"هُوَ أَحَدُ أَسَالِيبِ الْبَلَاغَةِ فَإِنَّهُمْ أَتَوْا بِهِ دَلَالَةً عَلَى تَمَكُّنِهِمْ فِي الْفَصَاحَةِ وَمَلَكَتِهِمْ فِي الْكَلَامِ وَانْقِيَادِهِ لَهُمْ وَلَهُ فِي الْقُلُوبِ أَحْسَنُ مَوْقِعٍ وَأَعْذَبُ مَذَاقٍ" (١).

وينقل لنا السيوطي أن السلف – رضوان الله عليهم – قد أشكل عليهم معنى بعض الآيات، فلما عرفوا أنها من باب التقديم والتأخير اتضح مدلولها فقد أَخْرَجَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ عَنْ قَتَادَةَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَأَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾(٢). قَالَ: هَذَا مِنْ تَقَادِيمِ الْكَلَامِ يقول: "وَلا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلادُهُمْ في الحياة الدنيا إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْآخِرَةِ " وَأَخْرَجَ عَنْهُ أَيْضًا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ (٣) قَالَ: هَذَا مِنْ تَقَادِيمِ الْكَلَامِ يَقُولُ: "لَوْلَا كَلِمَةٌ وَأَجَلٌ مُسَمًّى لَكَانَ لِزَامًا" وَأَخْرَجَ عَنْ

---

(١) البرهان في علوم القرآن المؤلف: أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (المتوفى: ٧٩٤هـ) المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم / الطبعة: الأولى، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م / الناشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه ج/ ٣، ص/ ٢٣٣.

(٢) [التوبة:٨٥].

(٣) [يونس:١٩].

مُجَاهِدٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ ۝١﴾[١]. قَالَ: هَذَا مِنَ التَّقْدِيمِ وَالتَّأْخِيرِ "أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ قيمًا وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجَا " وَأَخْرَجَ عَنْ قَتَادَةَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ﴾[٢]. قَالَ: هَذَا مِنَ الْمُقَدَّمِ وَالْمُؤَخَّرِ أَيْ " رَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُتَوَفِّيكَ "[٣].

ثالثًا: أغراض التقديم والتأخير:

وقد ذكر أهل العلم أسبابًا عديدة، ومقاصد متنوعة، تكمُن وراء هذا الأسلوب القرآني.

يقول السيوطي: " وأما أسباب التقديم وأسراره فقد ظهر لي منها في الكتاب العزيز عشرة أنواع" [٤]: نلخصها على النحو الآتي..

أولاً: التقديم لغرض الِاخْتِصَاصُ، وَذَلِكَ بِتَقْدِيمِ الْمَفْعُولِ وَالْخَبَرِ والظرف والجار والمجرور ونحوها على الفعل كقوله تعالى: {إياك نعبد}، أَيْ نَخُصُّكَ بِالْعِبَادَةِ فَلَا نَعْبُدُ غَيْرَكَ[٥]. ونخصك بالاستعانة، فلا نستعين بأحد سواك. ونحو

---

(١) [الكهف:١].

(٢) [آل عمران:٥٥]

(٣) الإتقان في علوم القرآن المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ) المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم / الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب / الطبعة: ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤ م ج/ ٣، ص/ ٣٨.

(٤) معترك الأقران في إعجاز القرآن، ويُسمَّى (إعجاز القرآن ومعترك الأقران) المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ) دار النشر: دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان / الطبعة: الأولى ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م، ج/ ١، ص/ ١٣١.

(٥) البرهان في علوم القرآن المؤلف للزركشي، ج/ ٣، ص/ ٢٣٣.

هذا قوله سبحانه :﴿إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾﴾[١] أي: إن كنتم تخصونه بالعبادة، دون سواه.

ثانيًا: التقديم لغرض التَّبَرُّكُ كَتَقْدِيمِ اسْمِ اللَّهِ – تَعَالَى – فِي الْأُمُورِ ذَاتِ الشَّأْنِ وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ﴾[٢]. وَقَوْلُهُ: ﴿۞ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ﴾[٣]. فذهب أَكْثَرُ الْمُفَسِّرِينَ وَالْفُقَهَاءِ إِلَى أَنَّ قوله: اللَّهُ افْتِتَاحُ كَلَامٍ عَلَى سَبِيلِ التَّبَرُّكِ وَإِضَافَةِ هَذَا الْمَالِ إِلَى نَفْسِهِ لِشَرَفِهِ، وَلَيْسَ الْمُرَادُ مِنْهُ أَنَّ سَهْمًا مِنَ الْغَنِيمَةِ لِلَّهِ مُنْفَرِدًا، فَإِنَّ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ كُلَّهَا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ[٤].

ثالثًا: التقديم لغرض التَّعْظِيمُ كَقَوْلِهِ: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾[٥].

فتقديم لفظ الجلالة في هذه الآية ونحوها على لفظ الرسول ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ؛ تعظيمًا له ـــ سبحانه ـــ، مع أن طاعته ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ من طاعته ـــ سبحانه وتعالى ـــ.

رابعًا: التقديم لغرض التَّشْرِيفُ كَتَقْدِيمِ الْحُرِّ على العبد فِي قَوْلِهِ: ﴿ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ﴾[٦] . وتقديم الحي على الميت في قوله: ﴿وَمَا

---

(١) [البقرة:١٧٢].

(٢) [آل عمران:١٨].

(٣) [الأنفال:٤١].

(٤) معالم التنزيل للبغوي ج/ ٢، ص/ ٢٩٢.

(٥) [النساء:١٣].

(٦) [البقرة:١٧٨].

﴿ يَسْتَوِي ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ ﴾[١]. فإن الحر أشرف من العبد، فاقتضى تقديمه. والحي أشرف من الميت، فاقتضى الأمر تقديمه.

خامسًا: التقديم لغرض مُراعاة الْمُنَاسَبَةُ مُنَاسَبَةُ الْمُتَقَدِّمِ لِسِيَاقِ الْكَلَامِ كَقَوْلِهِ: ﴿ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾ ﴾ [٢]. فَإِنَّ الْجَمَالَ بِالْجَمَالِ وَإِنْ كَانَ ثَابِتًا حَالَتَيِ السَّرَاحِ وَالْإِرَاحَةِ إِلَّا أَنَّهَا حَالَةُ إِرَاحَتِهَا وَهُوَ مَجِيئُهَا مِنَ الْمَرْعَى آخِرَ النَّهَارِ يَكُونُ الْجَمَالُ بِهَا أَفْخَرَ إِذْ هِيَ فِيهِ بِطَانٌ وَحَالَةُ سَرَاحِهَا لِلْمَرْعَى أَوَّلَ النَّهَارِ يَكُونُ الْجَمَالُ بِهَا دُونَ الْأَوَّلِ إِذْ هِيَ فِيهِ خِمَاصٌ[٣]. فكان تقديم أجمل الحالين من أمرها أنسب للسياق.

سادسًا: التقديم لغرض الْحَثُّ عَلَيْهِ وَالْحَضُّ عَلَى الْقِيَامِ بِهِ حَذَرًا مِنَ التَّهَاوُنِ بِهِ كَتَقْدِيمِ الْوَصِيَّةِ عَلَى الدَّيْنِ فِي قَوْلِهِ: ﴿ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِى بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ﴾[٤]. مَعَ أَنَّ الدَّيْنَ مُقَدَّمٌ عَلَيْهَا شَرْعًا، فإن وفاء الدين سابق على الوصية، لكن قَدَّم الوصية؛ حثًا عليها، وحضًا على القيام بها. وعلى هذا النحو، قوله سبحانه: ﴿ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ ﴾ [٥] قدم الإناث؛ حثًا على الإحسان إليهن، وحضًا على رعايتهن.

سابعًا: التقديم لغرض السَّبْقُ وَهُوَ إِمَّا فِي الزَّمَانِ بِاعْتِبَارِ الْإِيجَادِ بِتَقْدِيمِ اللَّيْلِ عَلَى النَّهَارِ وَالظُّلُمَاتِ عَلَى النُّورِ وَآدَمَ عَلَى نُوحٍ وَالْمَلَائِكَةَ عَلَى الْبَشَرِ فِي

---

(١) [فاطر: ٢٢].

(٢) [النحل :٦].

(٣) الاتقان في علوم القرآن للسيوطي ج/ ٣، ص/ ٤٣. بتصرف.

(٤) [النساء: ١١].

(٥) [الأحزاب :٥٩].

قوله :{اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ} وَعَادٍ عَلَى ثَمُودَ وَالْأَزْوَاجِ عَلَى الذُّرِّيَّةِ فِي قَوْلِه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ﴾(١). وَالسِّنَةِ عَلَى النَّوْمِ فِي قَوْلِهِ: ﴿لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ﴾ (٢) أَوْ بِاعْتِبَارِ الْإِنْزَالِ كَقَوْلِهِ: ﴿صُحُفِ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ١٩﴾(٣) ﴿وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ ٣ مِن قَبۡلُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلۡفُرۡقَانَ﴾(٤) أَوْ بِاعْتِبَارِ الْوُجُوبِ وَالتَّكْلِيفِ نَحْوَ: ﴿ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ﴾(٥).

ثامنًا: التقديم لغرض السَّبَبِيَّة كَتَقْدِيمِ الْعَزِيزِ عَلَى الْحَكِيمِ؛ لِأَنَّهُ عَزَّ فَحَكَمَ وَالْعَلِيمِ عَلَيْهِ؛ لِأَنَّ الْإِحْكَامَ وَالْإِتْقَانَ نَاشِئٌ عَنِ الْعِلْمِ وَأَمَّا تَقْدِيمُ الْحَكِيمِ عَلَيْهِ فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ فَلِأَنَّهُ مَقَامُ تَشْرِيعِ الْأَحْكَامِ، وَمِنْهُ تَقْدِيمُ الْعِبَادَةِ عَلَى الِاسْتِعَانَةِ فِي سُورَةِ الْفَاتِحَةِ؛ لِأَنَّهَا سَبَبُ حُصُولِ الْإِعَانَةِ وَكَذَا قَوْلُهُ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلۡمُتَطَهِّرِينَ ٢٢٢﴾ (٦)؛ لِأَنَّ التَّوْبَةَ سَبَبُ الطَّهَارَةِ: وقوله تعالى: ﴿يَغُضُّواْ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِمۡ وَيَحۡفَظُواْ فُرُوجَهُمۡۚ﴾(٧)لِأَنَّ الْبَصَرَ دَاعِيَةٌ إِلَى الْفَرْجِ.

تاسعًا: التقديم لغرض الْكَثْرَةُ كَقَوْلِهِ: ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ فَمِنكُمۡ كَافِرٞ وَمِنكُم مُّؤۡمِنٞ﴾(٨) لِأَنَّ الْكُفَّارَ أَكْثَرُ: ﴿فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ﴾(٩) قَدَّمَ الظَّالِمَ لِكَثْرَتِهِ ثُمَّ الْمُقْتَصِدَ ثُمَّ

---

(١) [الشورى:٤٩].
(٢) [البقرة :٢٥٥].
(٣) [الأعلى :١٩].
(٤) [آل عمران :٣، ٤].
(٥) [الحج :٧٧].
(٦) [البقرة :٢٢٢].
(٧) [النور: ٣٠].
(٨) [التغابن:٢].
(٩) [فاطر: ٣٢].

السَّابِقَ وَلِهَذَا قَدَّمَ السَّارِقَ عَلَى السَّارِقَةِ؛ لِأَنَّ السَّرِقَةَ فِي الذُّكُورِ أَكْثَرُ وَالزَّانِيَةَ عَلَى الزَّانِي؛ لِأَنَّ الزِّنَى فِيهِنَّ أَكْثَرُ.

عاشرًا: التقديم لغرض التَّرَقِّي مِنَ الْأَدْنَى إِلَى الْأَعْلَى كَقَوْلِهِ: ﴿ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ ﴾(١) بَدَأَ بِالْأَدْنَى لِغَرَضِ التَّرَقِّي؛ لِأَنَّ الْيَدَ أَشْرَفُ مِنَ الرِّجْلِ وَالْعَيْنَ أَشْرَفُ مِنَ الْيَدِ وَالسَّمْعَ أَشْرَفُ مِنَ الْبَصَرِ وَمِنْ هَذَا النَّوْعِ تَأْخِيرُ الْأَبْلَغِ وَقَدْ خُرِّجَ عَلَيْهِ تَقْدِيمُ الرَّحْمَنِ عَلَى الرَّحِيمِ والرؤوف عَلَى الرَّحِيمِ وَالرَّسُولِ عَلَى النَّبِيِّ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥١﴾﴾(٢) وَذُكِرَ لِذَلِكَ نُكَتٌ أَشْهَرُهَا مُرَاعَاةُ الْفَاصِلَةِ.

الحادي عشر: التقديم لغرض التَّدَلِّي مِنَ الْأَعْلَى إِلَى الْأَدْنَى وَخُرِّجَ عَلَيْهِ: ﴿لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً ﴾(٣).

اذن، فقد تتعدد الأسباب لهذا التقديم والتأخير، واكتفي بهذا القدر من الأمثلة القرآنية، فإن فيها الكفاية، فهي تدل دلالة واضحة على أن التعبير القرآني تعبير فني مقصود، فكل لفظ فيه وضع وضعًا مقصودًا، وأنه لم يُقدم لفظة على لفظة إلا لغرض يقتضيه السياق وقد روعي في ذلك التعبير القرآني كله ونظر إليه نظرة واحدة شاملة.

وبعد أن وقفنا على تعريف أسلوب التقديم والتأخير، وأهميته، وأغراضه. ننتقل إلى الحديث عن دراسة تطبيقية لبيان دلالات وبلاغة التقديم والتأخير لجُملة من النماذج المختارة من آيات القرآن الكريم التي جاءت بتقديم كلمة في موضع وتأخيرها في موضع آخر، وبيان ما فيها من جلال الأسلوب وجمال المعنى وقمة الإعجاز، وهذا سيكون الحديث عنه في المباحث الآتية.

---

(١) [الأعراف: ١٩].

(٢) [مريم :٥١].

(٣) [الكهف:٤٩]. وينظر: الاتقان في علوم القرآن للسيوطي ج/ ٣، ص/ ٤٦ بتصرف.

المبحث الأول:

التقديم والتأخير وعلاقته بالسياق في آيات الإنس والجن[1]

من المعلوم يقيناً أنه ليس في آيات الله اختلاف ولا تناقض ولا تعارض وهذا سر من أسرار إعجاز القرآن العظيم، وقد قال الله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾[2].

لكن ما نراه من التقديم والتأخير في آيات الانس والجن يجعلنا ننظر ونتساءل هل حقاً هناك تقديم للجن على الإنس في بعض الآيات، وتقديم للإنس

---

(١) **(الإنْسُ)** بالكَسْر: البَشَرُ، كالإنسان، بالكسْر أَيضًا، والإنس: خلاف الجن، والأنس: خلاف النفور، والإنسيّ منسوب إلى الإنس يقال ذلك لمن كثر أنسه، ولكلّ ما يؤنس به. **ينظر:** المفردات في غريب القرآن المؤلف: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (المتوفى: ٥٠٢هـ) المحقق: صفوان عدنان الداودي الناشر: دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت الطبعة: الأولى – ١٤١٢ هـ، ج/ ١، ص/ ٩٤. وتاج العروس من جواهر القاموس المؤلف: محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ) المحقق: مجموعة من المحققين / الناشر: دار الهداية، ج/ ١٥، ص/ ٤٠٨.

و(**الْجِنّ**) خلاف الْإِنْس واحده جني، والْجِنّ: هم أجسام عَاقِلَة خُفْيَة تغلب عَلَيْهِم النارية أَو الهوائية. **ينظر:** الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية المؤلف: أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (المتوفى: ١٠٩٤هـ) المحقق: عدنان درويش – محمد المصري / الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، ج/ ١ ،ص/ ٣٥٩. و المعجم الوسيط المؤلف: مجمع اللغة العربية بالقاهرة / (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار) الناشر: دار الدعوة، ج/ ١، ص/ ١٤١.

والانس والجن هما الثَّقَلان اللذان يكونان أمة التكليف لما منحهما الله من نعمة الاختيار الذي هو مَنَاطُ التكليف. وقد أرسل النبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – إليهما جميعًا، **تفسير الشعراوي – الخواطر = تفسير الشعراوي المؤلف: محمد متولي الشعراوي (المتوفى: ١٤١٨هـ) / الناشر: مطابع أخبار اليوم، ج ٨٧٢٧/١٤.**

(٢) [النساء: ٨٢].

على الجن في آيات أخرى؟.؛لأن الواو في اللغة العربية لا تفيد الترتيب، بل تفيد مطلق الجمع عند جمهور العلماء، وما دام العطف بالواو في آيات الانس والجن فهذا معناه إثبات الحكم للجن والإنس دون أن يترتب على ذلك تقديم لأحدهما على الآخر.

ومع ذلك فإننا نبحث في القرآن في مثل هذه الآيات ونتساءل لماذا ذكر الأول ثم الثاني في موضع والثاني قبل الأول في موضع آخر؟.

أولاً: تقديم الإنس على الجن:

هناك ثلاث آيات قُدم فيها الإنس على الجن وهي:

الآية الأولى قال تعالى في سورة الأنعام: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى (١) بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ (٢) غُرُورًا ۚ (٣) وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾﴾ (٤).

---

(١) **أصل الوحي:** الإشارة السّريعة، ولتضمّن السّرعة قيل: أمر وَحْيٌ، وذلك يكون بالكلام على سبيل الرّمز والتّعريض، وقد يكون بصوت مجرّد عن التّركيب، وبإشارة ببعض الجوارح، وبالكتابة. **ينظر:** المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ج/ ١، ص/٨٥٨.

(٢) **{زُخْرُفَ الْقَوْلِ}** ما زُيِّن منه وحُسِّنَ ومُوِّه. **وأصل الزخرف:** الذهب. **ينظر:** غريب القرآن المؤلف: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: ٢٧٦هـ) المحقق: أحمد صقر / الناشر: دار الكتب العلمية (لعلها مصورة عن الطبعة المصرية) السنة: ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م، ج/ ١ ،ص/١٥٨.

(٣) **الْغَرُورُ:** كلّ ما يَغُرُّ الإنسان من مال وجاه وشهوة وشيطان، وقد فسّر بالشيطان إذ هو أخبث الْغَارِّينَ، وبالدّنيا لما قيل: الدّنيا تَغُرُّ وتضرّ والغرور، بضم الغين: الباطل، مصدر غررت. **ينظر:** المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ج/ ١، ص/٦٠٤. والتبيان في تفسير غريب القرآن المؤلف: أحمد بن محمد بن عماد الدين بن علي، أبو العباس، شهاب الدين، ابن الهائم (المتوفى: ٨١٥هـ) المحقق: د ضاحي عبد الباقي محمد- الناشر: دار الغرب الإسلامي – بيروت/ الطبعة: الأولى - ١٤٢٣ هـ، ج/ ١، ص/٢٦٣.

(٤) [الأنعام :١١٢].

جاءت الآية الكريمة في سياق الكلام عن عداوة الإنس والجن للأنبياء، ولما كانت العداوة من الإنس أوضح، والايذاء منهم أظهر، ناسب تقديم الإنس على الجن في هذا الموضع.

يقول الطاهر بن عاشور: "وتَقْدِيمِ الْإِنْسِ عَلَى الْجِنِّ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ﴾ (١) لِأَنَّ خُبَثَاءَ النَّاسِ أَشَدُّ مُخَالَطَةً لِلْأَنْبِيَاءِ مِنَ الشَّيَاطِينِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ عَصَمَ أَنْبِيَاءَهُ مِنْ تَسَلُّطِ الشَّيَاطِينِ عَلَى نُفُوسِهِمْ قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾﴾(٢) فَإِنَّ اللَّهَ أَرَادَ إِبْلَاغَ وَحْيِهِ لِأَنْبِيَائِهِ فَزَكَّى نُفُوسَهُمْ مِنْ خُبْثِ وَسْوَسَةِ الشَّيَاطِينِ، وَلَمْ يَعْصِمْهُمْ مِنْ لِحَاقِ ضُرِّ النَّاسِ بِهِمْ وَالْكَيْدِ لَهُمْ لِضَعْفِ خَطَرِهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾﴾(٣) وَلَكِنَّهُ ضَمِنَ لِرُسُلِهِ النَّجَاةَ مِنْ كُلِّ مَا يَقْطَعُ إِبْلَاغَ الرِّسَالَةِ إِلَى أَنْ يَتِمَّ مُرَادُ اللَّه "(٤).

والآية الكريمة تسلية ومُواساة للنبي – صلى الله عليه وسلم – فيما يلقاه من هؤلاء الكافرين. أي: هذه سنة الله – سبحانه وتعالى – فيمن سبقك من إخوانك من الأنبياء أن الله – سبحانه وتعالى – يجعل لكل نبي عدوًا من هؤلاء الشياطين.

---

(١) [الأنعام:١١٢].

(٢) [الحِجر:٤٢].

(٣) [الأنفال:٣٠].

(٤) التحرير والتنوير « تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» المؤلف: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ) الناشر: الدار التونسية للنشر – تونس سنة النشر: ١٩٨٤ هـ، ج/ ١٨ ،ص/ ٩. باختصار.

"وَ«شَيَاطِينَ الْإِنْسِ» اسْتِعَارَةٌ لِلنَّاسِ الَّذِينَ يَفْعَلُونَ فِعْلَ الشَّيَاطِينِ: مِنْ مَكْرٍ وَخَدِيعَةٍ. وَإِضَافَةُ شَيَاطِينَ إِلَى الْإِنْسِ إِضَافَةٌ مَجَازِيَّةٌ عَلَى تَقْدِيرِ (مِنْ) التَّبْعِيضِيَّةِ مَجَازًا.....وَهُمْ بَعْضُ الْإِنْسِ، أَيْ أَنَّ الْإِنْسَ: لَهُمْ أَفْرَادٌ مُتَعَارَفَةٌ، وَأَفْرَادٌ غَيْرُ مُتَعَارَفَةٍ يُطْلَقُ عَلَيْهِمُ اسْمُ الشَّيَاطِينِ، وَشَيَاطِينُ الْجِنِّ حَقِيقَةٌ، وَالْإِضَافَةُ حَقِيقَةٌ، لِأَنَّ الْجِنَّ مِنْهُمْ شَيَاطِينٌ، وَمِنْهُمْ غَيْرُ شَيَاطِينٍ"(١) .

في هذه الآية الكريمة تقُدم ذكر الإنس على الجن.. ...وسر التقديم هنا؛ لأن عداوة الإنس للرسل ظاهر أمرها. وعنادهم لهم لا يحتاج إلى دليل. وقد تحدث عن ذلك القرآن مبيِّنًا الصراع الطويل بين قُوَى الهداية والخير متمثلة في الرسل، وقُوَى الضلال والشر متمثلة الناس المخالفين لدعوة الرسل. فبنو إسرائيل – مثلًا – وهم من الإنس تمردوا على الرسل وقتلوهم. ولم تقتل الجن رسولًا أو نبيًا هذا الظهور في عداوة الإنس للرسل جعلهم أصلاء في هذا المقام جديرين بالتقديم فيه. أما عداوة الجن للرسل فهي مساع وحيل متخفية، يدركها العقل ولا تدركها الحواس، فهي – بهذا الاعتبار – تأتي في المرحلة الثانية بعد عداوة الإنس للرسل والتمرد عليهم وقتلهم. فالتقديم – إذن – ليس للتشريف. بل لأن المقدَّم أكبر شأنًا من حيث اتصاله بالحقيقة التي سيق من أجلها الكلام (٢).

وبهذا فللتقديم والتأخير أسرار هي من إعجاز القرآن الكريم، ومن ذلك أن الله – عز وجل – قدم الانس على الجن في سورة الأنعام؛ لأنها في سياق الحديث عن معاداة الأنبياء الذين هم من الإنس فالأنسب تقديم الإنس؛ لأنهم أشد

---

(١) المصدر السابق ج/ ٣٠ ،ص/ ٦٣٥.

(٢) خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية (رسالة دكتوراه بتقدير ممتاز مع مرتبة الشرف الأولى) المؤلف: عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني (المتوفى: ١٤٢٩هـ) الناشر: مكتبة وهبة الطبعة: الأولى، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م، ج/ ٣، ص/ ١١٥، باختصار.

في المُعاداة الفعلية، فهم الذين حاربوا الأنبياء بالسلاح، وهم الذين أخرجوهم، وقتلوا بعضهم، وأما الجن فلم يستطيعوا ذلك، وكان يكفي النبي أن يستعيذ بالله منهم فيكفيه شرهم، وكذلك يكفي المؤمنين.

فمن الواضح أن عداوة شياطين الإنس أقوى وأخطر ولهذا قدم ذكرهم على شياطين الجن.. فان عداوة الانس وشياطينهم اشد وطأ واعمق أثرًا.

الآية الثانية قال تعالى في سورة الإسراء: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾[1].

وَمَعْنَى الِاجْتِمَاعِ: الِاتِّفَاقُ وَاتِّحَادُ الرَّأْيِ، أَيْ: لَوْ تَوَارَدَتْ عُقُولُ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ عَلَى أَنْ يَأْتِيَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَمَا أَتَوْا بِمِثْلِهِ. فَهُوَ اجْتِمَاعُ الرَّأْيِ لَا اجْتِمَاعُ التَّعَاوُنِ، كَمَا تَدُلُّ عَلَيْهِ الْمُبَالَغَةُ فِي قَوْلِهِ بَعْدَهُ: وَلَوْ كانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا. أي: لا يقدرون على ذلك وَلَوْ كانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عونا.

فالقرآن مُعجز في النظم والتأليف والإخبار عن الغيوب، وهو كلام في أعلى طبقات البلاغة لا يشبه كلام الخلق؛ لأنه كلام الخالق وهو غير مخلوق ولو كان مخلوقا لأتوا بمثله، وَذِكْرُ الْجِنِّ مَعَ الْإِنْسِ لِقَصْدِ التَّعْمِيمِ، كَمَا يُقَالُ: «لَوِ اجْتَمَعَ أَهْلُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ»، وَأَيْضًا؛ لِأَنَّ الْمُتَحَدَّيْنَ بِإِعْجَازِ الْقُرْآنِ كَانُوا يَزْعُمُونَ أَنَّ الْجِنَّ يَقْدِرُونَ عَلَى الْأَعْمَالِ الْعَظِيمَةِ[2].

جاءت الآية الكريمة في سياق الحديث عن البيان الذي تحدى الله به العرب الفُصحاء وهم من الإنس، فقدم الله الإنس هُنا؛ لأن المُخاطب الأول في

---

(١) [الإسراء :٨٨].

(٢) لباب التأويل في معاني التنزيل المؤلف: علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن (المتوفى: ٧٤١هـ) المحقق: تصحيح محمد علي شاهين /الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت / الطبعة: الأولى – ١٤١٥ هـ.، ج/ ٢، ص/ ١٤٦. والتحرير والتنوير لابن عاشور ج/ ١٥، ص/٢٠٣.

القرآن بالتحدي في هذه الآيات هم الإنس، فإن سورة الإسراء مكية وأهل مكة هم الذين كان لهم مجال واسع في الفصاحة والبلاغة كما هو معلوم.

لذلك يقول السيوطي في الاتقان :" فإن قلت: إنما وقع العجز في الإنس دون الجن؟ فالجواب أن الجن ليسوا من أهل اللسان العربي الذي جاء القرآن على أساليبه، وإنما ذكروا في قوله تعالى: (قلْ لَئِن اجْتَمَعَت الإنْس وَالْجِنّ) تعظيمًا لشأنه؛ لأن للهيئة الاجتماعية من القوة ما ليس للأفراد، فإذا فرِض إجماع الثقلين، وظاهر بعضهم بعضًا، وعجزوا عن المُعارضة كان الفريق الواحد أعجز(١).

كما يرى د وهبة الزحيلي: أن تقديم الانس هنا أولى فيقول " الإتيان بمثل القرآن هو بالإنس أليق إن أمكن، لذا قدم الإنس على الجن في ذلك، في قوله تعالى: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ ﴾(٢).

فكان تقديم الإنس على الجن في الآية الكريمة أنسب للسياق؛ لأن الحديث مُنصب على الإتيان بمثل القرآن البليغ الفصيح، فمضمون الآية هو التحدي بالإتيان بمثل القرآن، والإنس في هذا المجال هم المُقدمون، فهم أصحاب البلاغة وأعمدة الفصاحة وأساطين البيان، فإتيان ذلك من قِبلهم أولى، ولذلك كان تقديمهم أولى؛ ليناسب ما يتلاءم مع طبيعتهم.

الآية الثالثة قال تعالى في سورة الجن: ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۝٥﴾(٣). أَيْ: إِنَّا حَسِبْنَا أَنَّ الْإِنْسَ وَالْجِنَّ كَانُوا لَا يَكْذِبُونَ عَلَى اللَّهِ بِأَنَّ لَهُ

(١) معترك الأقران في إعجاز القرآن للسيوطي ج/ ١، ص/ ٧.

(٢) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج المؤلف: د وهبة بن مصطفى الزحيلي الناشر: دار الفكر المعاصر – بيروت، دمشق / الطبعة: الثانية، ١٤١٨ هـ، ج/ ٢٧، ص/٢١٥.

(٣) [الجن: ٥].

شَرِيكًا وَصَاحِبَةً وَوَلَدًا، فَلِذَلِكَ صَدَّقْنَاهُمْ فِي ذَلِكَ حَتَّى سَمِعْنَا الْقُرْآنَ فَعَلِمْنَا بُطْلَانَ قَوْلِهِمْ، وَبُطْلَانَ مَا كُنَّا نَظُنُّهُ بِهِمْ مِنَ الصِّدْقِ، وَانْتِصَابُ كذبا على أنه مصدر مؤكد ليقول لِأَنَّ الْكَذِبَ نَوْعٌ مِنَ الْقَوْلِ، أَوْ صِفَةٌ لِمَصْدَرٍ مَحْذُوفٍ، أَيْ: قَوْلًا كَذِبًا.... (١).

وهذا – كما ذكر الرازي– إِقْرَارٌ مِنْهُمْ بِأَنَّهُمْ إِنَّمَا وَقَعُوا فِي تِلْكَ الْجَهَالَاتِ بِسَبَبِ التَّقْلِيدِ، وَأَنَّهُمْ إِنَّمَا تَخَلَّصُوا عَنْ تِلْكَ الظُّلُمَاتِ بِبَرَكَةِ الِاسْتِدْلَالِ وَالِاحْتِجَاجِ"(٢).

فالآية الكريمة اعتذار منهم عن كفرهم السابق، فكأنهم يقولون بعد أن استمعوا إلى القرآن، وآمنوا بالله– تعالى– وحده: إننا ننزه الله– تعالى– عما قاله السفهاء في شأنه.. وإذا كنا قد اتبعناهم قبل إيماننا، فسبب ذلك أننا صدقنا هؤلاء السفهاء فيما قالوه لنا، وما كنا نعتقد أو نتصور أو نظن أن هؤلاء السفهاء يصل بهم الفجور والكذب.. إلى هذا الحد الشنيع(٣).

لذلك يقول ابن عاشور:" ففِي هَذِهِ الْآيَةَ إِشَارَةٌ إِلَى خَطَرِ التَّقْلِيدِ فِي الْعَقِيدَةِ، وَأَنَّهَا لَا يَجُوزُ فِيهَا الْأَخْذُ بِحُسْنِ الظَّنِّ بِالْمُقَلَّدِ بِفَتْحِ اللَّامِ بَلْ يَتَعَيَّنُ النَّظَرُ وَاتِّهَامُ رَأْيِ الْمُقَلَّدِ حَتَّى يَنْهَضَ دَلِيلُهُ. "(٤).

---

(١) لطائف الإشارات = تفسير القشيري المؤلف: عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (المتوفى: ٤٦٥هـ) المحقق: إبراهيم البسيوني الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب – مصر الطبعة: الثالثة، ج/ ٥، ص/ ٣٦٥.

(٢) مفاتيح الغيب = التفسير الكبير المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ) الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت / الطبعة: الثالثة – ١٤٢٠ هـ / ج/ ٣٠، ص/ ٦٦٧٠.

(٣) التفسير الوسيط للقرآن الكريم المؤلف: محمد سيد طنطاوي الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة الطبعة: الأولى، ج/ ١٥، ص/ ١٣٣.

(٤) التحرير والتنوير لابن عاشور ج/ ٢٩، ص/ ٢٢٤.

ولعل الحكمة من تقديم الإنس على الجن في هذه الآية؛ لأن هذا كلام الجن؛ لأنهم ذكروا من سيئات الجن ومعاصيهم ما لم يذكروه في الإنس كما في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ شَطَطًا ﴿٤﴾﴾ (١) وقوله: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾﴾ (٢) ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا ﴿١١﴾﴾ (٣) ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ ۖ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا ﴿١٤﴾﴾ (٤).

فقدّم الإنس على الجن باعتبار أن الجن يرون أن الإنس أبعد عن الكذب؛ لأنهم ذكروا من معاصي الجن الكثير ولم يذكروا شيئًا عن معاصي الإنس فكأن هؤلاء أبعد عن الكذب وربما أنهم كانوا يُحسنون الظن بالإنس هذا احتمال؛ لأن عالم الإنس غير عالم الجن يعلمون أن في جماعتهم الصالح والطالح ودون ذلك وكانوا يرون في الإنس مظنّة الصدق على الله كما أن الإنس أيضًا يرون في الجن مظنة الصدق والكهنة كانوا يحسنون القول فيما يلقيه لهم الجن ويصدقونهم فيما يقولون. عالم غير عالمهم هم يرون في عالمهم الشرور والكذب ويطنون الإنس أفضل منهم فقدّم الإنس على الجن.والله أعلم.

ثانيًا: تقديم الجن على الإنس:

وأما الآيات التي قدمت الجن على الانس هي:

الآية الأولى قال تعالى في سورة الأعراف: ﴿قَالَ ٱدْخُلُوا۟ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ فِى ٱلنَّارِ ۖ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُوا۟ فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِ ۖ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾﴾ (٥).

---

(١) [الجن:٤].
(٢) [الجن:٦].
(٣) [الجن:١١].
(٤) [الجن:١٤].
(٥) [الأعراف:٣٨].

جاءت الآية الكريمة في سياق بيان عاقبة المُتابعة في الباطل، والسَّير على منهج الكافرين، ومن سلك مسلكهم في إيذاء وتكذيب الرسل، وعدم الانقياد لما جاء به الشرعُ على أيدي الرسل؛ فإن الله يجمعهم يوم القيامة في نار جهنم.

أيْ :يَقُولُ اللَّهُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ، أَيْ: مَعَ جَمَاعَاتٍ، {قَدْ خَلَتْ} مَضَتْ، {مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ} يَعْنِي كُفَّارَ الْأُمَمِ الْخَالِيَةِ، {كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا} يُرِيدُ أُخْتَهَا فِي الدِّينِ لَا فِي النَّسَبِ، فَتَلْعَنُ الْيَهُودُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى النَّصَارَى، وَكُلُّ فِرْقَةٍ تَلْعَنُ أُخْتَهَا وَيَلْعَنُ الْأَتْبَاعُ الْقَادَةَ، وَلَمْ يَقُلْ أَخَاهَا لِأَنَّهُ عَنَى الْأُمَّةِ وَالْجَمَاعَةِ(١).

وقد التمس بعض العلماء الحكمة من تقديم الجن على الإنس في الآية الكريمة

فقال صاحب تفسير المنار:" وَقُدِّمَ الْجِنُّ؛ لِأَنَّ شَيَاطِينَهُمْ مُبْتَدِئُو الْإِضْلَالِ وَالْإِغْوَاءِ لِأَبْنَاءِ جِنْسِهِمْ وَلِلْإِنْسِ "(٢).

وبمثله قال أبو حيان: فقال عند تفسيره للآية الكريمة " وَقَدَّمَ الْجِنَّ؛ لِأَنَّهُمُ الْأَصْلُ فِي الْإِغْوَاءِ وَالْإِضْلَالِ وَدَلَّ ذَلِكَ عَلَى أَنَّ عُصَاةَ الْجِنِّ يَدْخُلُونَ النَّارَ"(٣).

---

(١) معالم التنزيل المؤلف: عبد الله بن أحمد بن علي الزيد البغوي الناشر: دار السلام للنشر والتوزيع – الرياض الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ عدد الأجزاء: ١، ج/٢، ص/ ٢٢٨.

(٢) تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) المؤلف: محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن علي خليفة القلموني الحسيني (المتوفى: ١٣٥٤هـ) الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة النشر: ١٩٩٠م، ج/ ٨، ص/ ٣٦٧.

(٣) البحر المحيط في التفسير المؤلف: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ) المحقق: صدقي محمد جميل الناشر: دار الفكر – بيروت الطبعة: ١٤٢٠ هـ. ج/٥، ص/ ٤٨.

ولعل الحكمة من تقديم الجن؛ لأن الله – تعالى – خلق أولا بني الجان منهم مؤمن ومنهم كافر، فلما استولى أهل الكفر منهم بعث إليهم جندا من الملائكة– وقيل رئيسهم إبليس– فاستأصلوهم ثم خلق آدم وذريته منهم مؤمن ومنهم كافر"(١).

الآية الثانية قال تعالى في سورة الأعراف: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾(٢).

وقوله تعالى: " وَلَقَدْ ذَرَأْنا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ" خبر من الله تعالى أنه خلق لسكنى جهنم والاحتراق فيها كثيرا، وهم الكفار من الفريقين المُعرضون عن تدبر آيات الله والله تعالى علم منهم اختيار الكفر فشاء منهم الكفر وخلق فيهم ذلك وجعل مصيرهم لجهنم لذلك ولا تنافي بين هذا وبين قوله "وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون"؛ لأنه الحاصل أن من علم منه في الأزل أنه يكون منه العبادة خلقه للعبادة ومن علم منه أن يكون منه الكفر خلقه لذلك وكم من عامٍ يراد به الخصوص وفي ضمنه وعيد للكفار، و«ذرأ» معناه خلق وأوجد مع بث ونشر(٣).

---

(١) غرائب القرآن ورغائب الفرقان المؤلف: نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري (المتوفى: ٨٥٠هـ) المحقق: الشيخ زكريا عميرات الناشر: دار الكتب العلميه – بيروت الطبعة: الأولى – ١٤١٦ هـ ج/ ٣، ص/ ٢٣٦.

(٢) [الأعراف:١٧٩].

(٣) المُحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز المؤلف: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ) المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى – ١٤٢٢ هـ، ج/ ٢، ص/٤٧٩، ومدارك التنزيل وحقائق التأويل المؤلف: أبو البركات عبد الله بن=

جاءت الآية الكريمة في سياق الحديث عمن خلقهم الله لجهنم؛ مما يجعل تقديم الجن في هذا الموضع أولى؛ لأن الشياطين منهم، وفي الإنس الأنبياء والأولياء والجن أكثر عددا وأقدم خلقًا.

وقد التمس العلماء سر التقديم في الآية فقال صاحب " روح البيان": "وقدم الجن على الانس؛ لأنهم أكثر عددًا وأقدم خلقًا؛ ولأن لفظ الإنس أخف بمكان النون الخفيفة والسين المهموسة فكان الأثقل أولى بأول الكلام من الأخف؛ لنشاط المُتكلم وراحته والإجماع على أن الجن مُتعبدون بهذه الشريعة على الخصوص وأن نبينا – صلى الله عليه وسلم – مبعوث الى الثقلين، ولا شك أنهم مُكلفون في الأمم الماضية كما هم مكلفون في هذه الأمة"(١). فكان تقديم الجن أنسب للسياق وأولي بالمقام.

الآية الثالثة قال تعالى في سورة النمل: ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيۡمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ وَٱلطَّيۡرِ فَهُمۡ يُوزَعُونَ ١٧﴾ (٢) (٣).

=أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (المتوفى: ٧١٠هـ) حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو / الناشر: دار الكلم الطيب، بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨ م. ح/ ١، ص/ ٦١٩.

(١) روح البيان المؤلف: إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي، المولى أبو الفداء (المتوفى: ١١٢٧هـ) الناشر: دار الفكر – بيروت ج/٢، ص٢٨٠.

(٢) "**فَهُمْ يُوزَعُونَ**": وزعت الرجل عن الأمر: كففته، وفي كتاب الله – جل وعز –: {فَهُمْ يُوزَعُونَ}، أي: يحبس أولهم على آخرهم.، وأوزعه الله الشكر: ألهمه إياه. **ينظر:** مجمل اللغة المؤلف: الإمام / أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا بن محمد بن حبيب (اللغوي) المتوفى (٣٩٥ هـ) دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان / دار النشر: مؤسسة الرسالة – بيروت / الطبعة الثانية – ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦ م، ج/ ١، ص/ ٩٢٤، مادة (وزع).

(٣) [النمل:١٧].

أي: وجمع لسليمان جنوده من الجنّ والإنس والطير في مسير لهم، فهم يُوزعون(١).

جاءت الآية الكريمة في سياق حديث سورة النمل عن مظاهر مُلك سليمان- عليه السلام – وجنده فتقول: وَحُشِرَ لِسُلَيْمانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ".

ويكشف الزركشي في البرهان عن سر تقديم الجن على الانس في الآية الكريمة فيقول:" الجن قُدموا في هذه الآية؛ لِأَنَّهُمْ أَقْوَى أَجْسَامًا وَأَعْظَمُ أَقْدَامًا وفي قوله: {يا معشر الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أقطار السماوات والأرض}(٢).

فتقديم الجن في الآية أنسب للسياق؛ لأن الكلام في الآية عن جُند سليمان وهو كلام عن جيش، والجيش مداره الأول على القوة فقُدم الجن؛ لأن القضية قضية مُخاطبة بالقوة، فقُدم الجن ابتداءً؛ لأنهم أقوى.

الآية الرابعة قال تعالى في سورة الذاريات: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ (٣). أي :إلا لآمرهم أن يعبدوني وأدعوهم إلى عبادتي، ومَعْنَى الْآيَةِ: أَنَّهُ تَعَالَى خَلَقَ الْعِبَادَ لِيَعْبُدُوهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، فَمَنْ أَطَاعَهُ جَازَاهُ أَتَمَّ الْجَزَاءِ، وَمِنْ عَصَاهُ عَذَّبَهُ أَشَدَّ الْعَذَابِ، وَأَخْبَرَ أَنَّهُ غَيْرُ مُحْتَاجٍ إِلَيْهِمْ، بَلْ هُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَيْهِ فِي جَمِيعِ أَحْوَالِهِمْ، فَهُوَ خَالِقُهُمْ وَرَازِقُهُمْ(٤).

---

(١) جامع البيان في تأويل القرآن المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ) المحقق: أحمد محمد شاكر / الناشر: مؤسسة الرسالة /الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م، ج/ ١٩، ص/ ٤٣٨.

(٢) البرهان في علوم القرآن للزركشي، ج/ ٢، ص/ ٢٥٨

(٣) [الذاريات :٥٦].

(٤) لباب التأويل في معاني التنزيل للخازن ج/ ٤، ص/ ١٩٧.و تفسير القرآن العظيم المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)المحقق: سامي بن محمد سلامة الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع لطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م، ج/ ٧، ص/ ٤٢٥.

تقدم ذكر الجن على الإنس في الآية الكريمة، **وقد التمس بعض العلماء الحكمة** من تقديم الجن على الإنس في قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾.

يقول السيوطي: "وإنما قدم الجن؛ لثقله، ومن عادة العرب تقديم الأثقل في كلامهم إذا جامعه الأخفّ؛ لنشاط المُتكلم، وأيضًا فإن المُطيعين من الإنس أكثر، فأخَّرهم ليختم بهم، وليرهب الجن من ذلك " (١).

وقال محمد الطاهر بن عاشور في التحرير والتنوير" وَمَا ذَكَرَ اللَّهُ الْجِنَّ هُنَا إِلَّا لِتَنْبِيهِ الْمُشْرِكِينَ بِأَنَّ الْجِنَّ غَيْرُ خَارِجِينَ عَنِ الْعُبُودِيَّةِ لِلَّهِ تَعَالَى. وَتَقْدِيمُ الْجِنِّ فِي الذِّكْرِ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ لِلِاهْتِمَامِ بِهَذَا الْخَبَرِ الْغَرِيبِ عِنْدَ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ، لِيَعْلَمُوا أَنَّ الْجِنّ عباد الله تَعَالَى، فَهُوَ نَظِيرُ قَوْلِهِ:﴿ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا سُبْحَٰنَهُۥ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾﴾(٢).

وقال الزحيلي: "... وحكمة تقديم الجن على الإنس أن عبادتهم سرية لا يدخلها الرياء كعبادة الإنس.. " (٣).

وذكر ذلك الفخر الرازي في تفسيره أيضًا. فقال: "وحكمة تَقْدِيمُ الْجِنِّ عَلَى الْإِنْسِ هُوَ أَنَّ الْعِبَادَةَ سِرِّيَّةٌ وَجَهْرِيَّةٌ، وَلِلسِّرِّيَّةِ فَضْلٌ عَلَى الْجَهْرِيَّةِ لَكِنَّ عِبَادَةَ الْجِنِّ سِرِّيَّةٌ لَا يَدْخُلُهَا الرِّيَاءُ الْعَظِيمُ، وَأَمَّا عِبَادَةُ الْإِنْسِ فَيَدْخُلُهَا الرِّيَاءُ فَإِنَّهُ قَدْ يَعْبُدُ اللَّهَ لِأَبْنَاءِ جِنْسِهِ، وَقَدْ يَعْبُدُ اللَّهَ لِيَسْتَخْبِرَ مِنَ الْجِنِّ أَوْ مَخَافَةً مِنْهُمْ وَلَا كَذَلِكَ الْجِنُّ.(٤).. والله أعلم.

---

(١) معترك الأقران في إعجاز القرآن، للسيوطي (المتوفى: ٩١١هـ) دار النشر: دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان / الطبعة: الأولى ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م، ج/ ٣، ص/٤٣٦.

(٢) [الأنبياء:٢٦] وينظر: التحرير والتنوير لابن عاشور، ج/ ٢٧، ص/ ٢٨.

(٣) التفسير المنير للزحيلي ج/ ٢٧، ص/ ٤٨.

(٤) مفاتيح الغيب للرازي ج/ ٢٨، ص/ ١٩٢.

ولعل الحكمة من تقديم الجن هنا: أن الله خلق الجن قبل الإنس، كما قال تعالى: ﴿وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾﴾[1]. **لذا يقول أبو السعود:** "ولعلَّ تقديمَ خلقِ الجَنِّ في الذكرِ؛ لتقدمهِ على خَلْقِ الإنسِ في الوجودِ ومَعْنى خلقِهم لعبادتِه تعالَى خلقُهم مُستعدينَ لَها ومُتمكنينَ منْها أتمَّ استعدادٍ وأكملَ تمكنٍ معَ كونِها مطلُوبةً مِنهُمْ بتنزيلِ ترتبِ الغايةِ علَى مَا هيَ ثمرةٌ لَهُ" [2] فقدم الجن على الإنس، لأنه قد روعي السبق الزمني، فإن الجن مخلوقين قبل الإنس. وهكذا نجد الكلمة القرآنية تقدر في مكانها الذي جاءت فيه، ﴿ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾﴾[3] فالظاهر من تقديم الجن؛ لأن الله جل وعلا خلقهم قبل أن يخلق الإنس، فخاطبهم باعتبار ترتيب إيجادهم وخلقهم. والله أعلم.

الآية الخامسة قال تعالى في سورة الرحمن: ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُواْ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُواْ ۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ ﴿٣٣﴾﴾[4].

جاءت الآية الكريمة في سياق الحديث عن النفاذ من أقطار السموات والأرض، ولا شك أن هذا هو ميدان الجن؛ لتنقلهم وسرعة حركتهم الطيفية، وبلوغهم أن يتخذوا مقاعد في السماء للاستماع، كما قال تعالى على لسانهم: ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ﴾[5].

---

(١) [الحِجر:٢٧].

(٢) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم المؤلف: أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: ٩٨٢هـ) الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، ج/ ٨، ص/ ١٤٤.

(٣) [يس: ٣٨].

(٤) [الرحمن :٣٣].

(٥) [الجن:٩].

وقد التمس بعض العلماء الحكمة من تقديم الجن على الإنس:

فقال الزركشي في البرهان :" قدم الجن؛ لِأَنَّهُمْ أَقْوَى أَجْسَامًا وَأَعْظَمُ أَقْدَامًا وَلِهَذَا قُدموا في قوله تعالى: ﴿ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُواْ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ....﴾[1]. وَفِي: {وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ والطير}[2].

والسبب في تقديم الجن على الإنس في هذه الآية: أن النفوذ من أقطار السموات والأرض بالجن أليق إن أمكن؛ لأنهم أقدر على النفوذ والهرب من الإنس وأقوى على ذلك[3].

ففي سياق التحدي بالنفوذ من أقطار السماوات والأرض، قدم الجن؛ لأنهم أقدر على الحركة من الإنس ،فقدم الجن على الإنس لأن النفاذ مما يناسب خواصهم وماهية أجسامهم أكثر من الإنس الجن. فكان تقديم الجن هنا أنسب للسياق.

فالتقديم والتأخير يأتي لسبب، والسياق قد يكون الحاكم والمُوضح للأمور. فإذا كان سياق الكلام أو الآية يتعلق بالإنس يتقدم الإنس، وإذا كان سياق الكلام أو الآية يتعلق بالجن أو بما يُناسب الجن يتقدم الجن، ولا شك أن هذا التقديم والتأخير لم يكن عبثًا من الله – عز وجل – وإنما هو لحكمة مُعينة.

وبالنظر في آيات تقديم الجن على الإنس يتبين لنا أن الله – عز وجل – قد خلق الجن ثم الإنس فهو تقديم السابق على التالي، أو تقديم قوة وقدرة على ضعف وعجز الانسان.

---

(١) [الرحمن:٣٣].

(٢) البرهان في علوم القرآن للزركشي ح/ ٢، ص/ ٢٥٨.

(٣) التفسير المنير للزحيلي ج/ ٢٧، ص/ ٢٥١، ولباب التأويل في معاني التنزيل للخازن ج/ ٤، ص/ ٢٢٨.

المبحث الثاني

التقديم والتأخير ودلالته على أهمية المُقدم في آيات السمع والبصر[١]

ومن مواضع التقديم والتأخير ذات الأسرار البلاغية والحكم البيانية: تقديم السمع على البصر. والمواضع التي قُدم فيها السمع على البصر هي: قوله تعالى في سورة يونس: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ .....﴾ [٢].

وقوله تعالى في سورة النحل: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾﴾[٣].

وقوله تعالى في سورة النحل أيضا: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٠٨﴾﴾[٤].

---

(١) **السَّمْعُ:** قوّة في الأذن به يدرك الأصوات، وفعله يقال له السَّمْعُ أيضا، وقد سمع سمعا، ويعبّر تارة بالسمّع عن الأذن نحو: خَتَمَ اللَّهُ عَلى قُلُوبِهِمْ وَعَلى سَمْعِهِمْ [البقرة/ ٧]، وتارة عن فعله كَالسَّمَاعِ نحو: إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ [الشعراء/ ٢١٢]. المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ج/١، ص/ ٤٢٥.

أما البَصَر يُقال للجارحة الناظرة، نحو قوله تعالى: ﴿كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ﴾ [النحل/ ٧٧] ، ﴿وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [الأحزاب/ ١٠]، وللقوّة التي فيها، ويقال لقوة القلب المُدركة: بَصِيرَة وبَصَر، نحو قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾﴾ [ق:٢٢]، وقال: ﴿ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾﴾ [النجم:١٧]، وجمع البصر أَبْصَار، وجمع البصيرة بَصَائِر، قال تعالى: ﴿فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُهُمْ﴾ [الأحقاف/ ٢٦]. ينظر: المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ج/١، ص/ ١٢٧.

(٢) [يونس:٣١].

(٣) [النحل:٧٨].

(٤) [النحل:١٠٨].

وقوله تعالى في سورة المؤمنون: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾﴾(١).

وقال تعالى في سورة الإنسان: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾﴾(٢).

وقوله تعالى في سورة السجدة: ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٩﴾﴾(٣).

وقوله تعالى في سورة الأحقاف: (وَلَقَدْ مَكَّنَّٰهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَٰرًا)(٤).

ففي هذه الآيات الكريمة قُدم السمع على البصر وعلى غيره من الحواس. وإن كانت (الواو) لا تقتضي الترتيب مع الجمع، لكن التقديم يُؤكد أهمية المُقدم وأسبقيته على غيره، فقد ذكر أهل التفسير بعض الحكم لتقديم السمع على البصر وإن كانت الواو لا تقتضي الترتيب، ولكن التقديم في الذكر مؤذن بأهمية المقدم.

ذكر ابن عاشور في تفسيره التحرير والتنوير: لتقديم السمع على البصر فقال :" وَفِي تَقْدِيمِ السَّمْعِ عَلَى الْبَصَرِ فِي مَوَاقِعِهِ مِنَ الْقُرْآنِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُ أَفْضَلُ فَائِدَةً لِصَاحِبِهِ مِنَ الْبَصَرِ فَإِنَّ التَّقْدِيمَ مُؤْذِنٌ بِأَهَمِّيَّةِ الْمُقَدَّمِ وَذَلِكَ؛ لِأَنَّ السَّمْعَ آلَةٌ لِتَلَقِّي الْمَعَارِفِ الَّتِي بِهَا كَمَالُ الْعَقْلِ، وَهُوَ وَسِيلَةُ بُلُوغِ دَعْوَةِ الْأَنْبِيَاءِ إِلَى أَفْهَامِ الْأُمَمِ عَلَى وَجْهٍ أَكْمَلَ مِنْ بُلُوغِهَا بِوَاسِطَةِ الْبَصَرِ لَوْ فَقَدَ السَّمْعَ،؛ وَلِأَنَّ السَّمْعَ تَرِدُ

(١) [المؤمنون:٧٨].
(٢) [الإنسان:٢].
(٣) [السجدة:٩].
(٤) [الأحقاف:٢٦].

إِلَيْهِ الْأَصْوَاتُ الْمَسْمُوعَةُ مِنَ الْجِهَاتِ السِّتِّ بِدُونِ تَوَجُّهٍ، بِخِلَافِ الْبَصَرِ فَإِنَّهُ يَحْتَاجُ إِلَى التَّوَجُّهِ بِالِالْتِفَاتِ إِلَى الْجِهَاتِ غَيْرِ الْمُقَابِلَةِ (١).

ويقول الرازي: "وَالتَّقْدِيمُ دَلِيلٌ عَلَى التَّفْضِيلِ، وَلِأَنَّ السَّمْعَ شَرْطُ النُّبُوَّةِ بخلاف البصر، ولذلك ما بعث الله رَسُولًا أَصَمَّ، وَقَدْ كَانَ فِيهِمْ مَنْ كَانَ مُبْتَلًى بِالْعَمَى؛ وَلِأَنَّ بِالسَّمْعِ تَصِلُ نَتَائِجُ عُقُولِ الْبَعْضِ إِلَى الْبَعْضِ، فَالسَّمْعُ كَأَنَّهُ سَبَبٌ لِاسْتِكْمَالِ الْعَقْلِ بِالْمَعَارِفِ، وَالْبَصَرُ لَا يُوقِفُكَ إِلَّا عَلَى الْمَحْسُوسَاتِ؛ وَلِأَنَّ السَّمْعَ مُتَصَرِّفٌ فِي الْجِهَاتِ السِّتِّ بِخِلَافِ الْبَصَرِ، وَلِأَنَّ السَّمْعَ مَتَّى بَطَلَ بَطَلَ النُّطْقُ، وَالْبَصَرُ إِذَا بَطَلَ لَمْ يَبْطُلِ النُّطْقُ" (٢).

ويقول الألوسي: "**عند تفسير قوله** تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ﴾لتحسوا بها الآيات التنزيلية والتكوينية وَالْأَفْئِدَةَ لتتفكروا بها في الآيات وتستدلوا بها إلى غير ذلك من المنافع، وقدم السمع لكثرة منافعه، وأفرد لأنه مصدر في الأصل ولم يجمعه الفصحاء في الأكثر، وقيل: أفرد لأنه يدرك به نوع واحد من المدركات وهو الأصوات بخلاف البصر فإنه يدرك به "(٣).

وللخطيب الشربيني كلام طيب في هذا المقام فيقول عند تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾﴾ (٤) أي: عظيم السمع والبصر والبصيرة؛ ليتمكن من مُشاهدة الدلائل ببصره وسماع

---

(١) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ج/ ١، ص/ ٧٢.

(٢) مفاتيح الغيب للرازي ج/ ٢، ص/ ٢٩٥.

(٣) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني المؤلف: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ) المحقق: علي عبد الباري عطية / الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت / الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ، ج/ ٩، ص/ ٢٥٦.

(٤) [الإنسان :٢].

الآيات بسمعه ومعرفة الحجج ببصيرته، فيصح تكليفه وابتلاؤه، وقدّم السمع؛ لأنه أنفع في المُخاطبات، ولأنّ الآيات المسموعة أبين من الآيات المرئية، وخصهما بالذكر؛ لأنهما أنفع الحواس؛ ولأنّ البصر يفهم البصيرة وهي تتضمن الجميع (١).

والظاهر من كلام المفسرين: أن السَمع بالنسبة إلى تلقي الرسالة أفضل من البصر، ففاقد البصر يستطيع أن يفهم ويعي مقاصد الرسالة فإن مهمة الرسل التبليغ عن الله. والأعمى يمكن تبليغه بها ويتيسر استيعابه لها كالبصير، غير أن فاقد السمع لا يمكن تبليغه بسهولة. فالأصم أنأى عن الفهم من الأعمى، ولذا كان من العميان علماء كبار بخلاف الصم. فلكون متعلق ذلك التبليغ كان تقديم السمع أولى.

أما تقديم البصر على السمع فالله – سبحانه – لم يُقدم (البصَر) على (السمع) إلا في آية واحدة في القرآن الكريم، يقول تعالى في وصف مشهد من مشاهد يوم القيامة: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾﴾ (٢) .

يقول الشيخ الشعراوي – رحمه الله: "من آيات الإعجاز في القرآن الكريم أن جميع الآيات التي ذكرتْ السمع والبصر ذكرتْه بهذا الترتيب: السمع والأبصار، إلا في آية واحدة في موقف القيامة قالوا: ﴿رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا

---

(١) السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير المؤلف: شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي (المتوفى: ٩٧٧هـ) الناشر: مطبعة بولاق (الأميرية) – القاهرة / عام النشر: ١٢٨٥ هـ ج/ ٤، ص/٤٤٩. بتصرف.

(٢) [السجدة:١٢].

نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾﴾[١]. فقدَّم البصر على السمع؛ لأن في القيامة تفجأهم المرائي أولًا قبل أنْ تفجأهم الأصوات، وهذه من مظاهر الدقة في الأداء القرآني المُعجز"[٢] .

فالنظام في جميع الآيات كان تقديم: (السمع) وتأخيرَ: (البصر) لكن تغير هذا النظامُ في هذه الآية؛ لأن أول ما يفجأُ الإنسان يوم القيامة هو مرئيّ مشاهدٌ، لا مسموع، **والآية الكريمة في سياق الحديث عن الآخرة**، وندم المُجرمين على ما فرطوا به في الحياة الدنيا، وتقديم البصر في هذا السياق أكثر منطقية؛ لأن الكافرين يوم القيامة سيبصرون بأعينهم ما كذبوا به، ثم سيسمعون وسيعون ويندمون ويسألون الله الرجوع إلى الدنيا؛ ليتداركوا على أنفسهم؛ فجاءت الآية الكريمة منطقية مع وقتها ومع واقعها فحَسُن حينئذٍ تقديم البصر. ؛ لأن الكلام عن المجرمون الذين كانوا في الدنيا يسمعون عن القيامة وأحوالها ولا يبصرون لكن ما يسمعوه كان يدخل في مجال الشك والظنّ، ولو تيقنوا لآمنوا أما في الآخرة فقد أبصروا ما كانوا يسمعون عنه؛ لأنهم أصبحوا في مجال اليقين. والله أعلم.

ولما كان السمع وسيلة من وسائل الإدراك وأدوات اكتساب العلم الذي يوصل بصاحبه إلى شكر خالقه على ما أنعم ربط القرآن الكريم بين السمع والعقل في قوله تعالى في سورة الملك: ﴿وَقَالُواْ لَوۡ كُنَّا نَسۡمَعُ أَوۡ نَعۡقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٠﴾﴾[٣].

---

(١) [السجدة:١٢]

(٢) الخواطر= تفسير الشعراوي ج/ ١٦، ص/ ١٠١١٠.

(٣) [المُلك:١٠] .

وقدم السمع على العقل والتفهم؛ لأن المدعو إلى شيء يسمع كلام الداعية أولا ثم يتفكر فيهوقدّم السمع على العقل؛ لأنهم إنما أدينوا في الآخرة من جهة سمعهم، وما جاءهم عن طريقه من آيات الله، على لسان رسله.. فلم يحسنوا الاستماع إلى ما أنذرهم به الرسل، ولم يقبلوا ما دعوا إليه من الإيمان بالله واليوم الآخر، ولم يعرضوا ما سمعوا على عقولهم. ثم إنهم إذ لم يأخذوا بهذا البلاغ السمعي، ولم يكن لهم من عقولهم بلاغ عقلي، يقيم لهم طريقا إلى الإيمان بالله، ويدعوهم إليه فقد ضلّوا، وهلكوا(١).

فالسمع هو السبيل الأول للعقل ومناط التفكير والهداية وهو أهم من البصر في التكليف والتبليغ؛ لأن فاقد البصر الذي يسمع يُمكن تبليغه أما فاقد السمع فيصعُب تبليغه ثم إن مدى السمع أقل من مدى البصر فمن نسمعه يكون عادة أقرب ممن نراه، بالإضافة إلى أن السمع ينشأ في الإنسان قبل البصر في التكوين.

وقد أثبتت الدراسات العلمية أن الوليد يسمع قبل أن يبصر، فحاسة السمع تأتي مع الوليد مكتملة في حين يكتمل البصر بعد الولادة بأشهر، فجاءت هذه الآيات تحمل وجها من الإعجاز القرآني أثبته العلم الحديث، الأمر، الذي يؤكد أن تقديم القرآن للسمع على البصر لم يكن أمرًا اعتباطيًا أو صدفة، إنما لفائدة وحكمة جليلة أظهرتها الأبحاث، التي كشفت عن أن آلة السمع، وهي الأذن تتكون قبل آلة البصر، وهي العين، إذ تظهر الصحيفة السمعية في الأسبوع الثالث للجنين، وهي أول مكونات آلة السمع، بينما تظهر الصحيفة البصرية في

---

(١) التفسير القرآني للقرآن المؤلف: عبد الكريم يونس الخطيب (المتوفى: بعد ١٣٩٠هـ) الناشر: دار الفكر العربي – القاهرة ج/١٥ ١٠٥٧، والتفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج للزحيلي ج/ ٢٩، ص/ ١٧.

الأسبوع الرابع. أما العين، فلا يتم تكامل طبقتها الشبكية الحساسة للضوء إلا بعد الأسبوع الخامس والعشرين ولا تتغطى ألياف العصب البصري بالطبقة النخاعية لتتمكن من نقل الإشارات العصبية البصرية بكفاءة إلا بعد أسابيع من ولادة الجنين. ويتضح أن الأذن الداخلية للجنين تنضج وتصبح قادرة على السمع في الشهر الخامس، بينما لا تفتح العين ولا تتطور طبقتها الحساسة للضوء إلا في الشهر السابع. وتكتمل حاسة السمع قبل حاسة البصر بعد خروج الجنين، حيث يُمكن للجنين أن يسمع الأصوات بالطريقة الطبيعية بعد بضعة أيام من ولادته بعد أن تمتص كل السوائل وفضلات الأنسجة المتبقية في أذنه الوسطى، ثم يُصبح السمع حادًا بعد أيام قلائل من ولادة الطفل.

أما حاسة البصر، فهي ضعيفة جدًا عند الولاة إذ تكاد أن تكون معدومة، ويصعب على الوليد تمييز الضوء من الظلام، ولا يرى إلا صورًا مشوشة للمرئيات، وتتحرك عيناه من دون أن يتمكن من تركيز بصره وتثبيته على الجسم المنظور، ولكنه يبدأ في الشهر الثالث أو الرابع تمييز شكل أمه أو قنينة حليبه وتتبع حركاتهما، وعند الشهر السادس يتمكن من تمييز الوجوه.

وكشف العلم عن حقيقة تتناسب مع تقدم السمع على البصر، وهي أن مركز السمع يتقدم مركز الإبصار في مخ الإنسان تشريحيًا، وهنا تظهر المعجزة العلمية في الآيات القرآنية، فالترتيب المكاني للسمع والبصر في الآيات يأتي وفقًا للترتيب المكاني لمراكز السمع والبصر في المخ(١).

فالسمع هو أول أداة إدراكية تُؤدي مُهمتها عندما يُولد الإنسان مُباشرة.

(١) https://www.aletihad.ae/article/25560/2016 إعجاز قرآني في تقديم السمع على البصر/ ١٣ يونيو ٢٠١٦ ١٥:١٤ عبر موقع الانترنت.

المبحث الثالث

التقديم والتأخير وعلاقته بالسياق في آيات السماء والأرض

مما لا شك فيه أنه من أعظم الأدلة والبراهين على قدرة الله – سبحانه وتعالى – خلق السموات والأرض، فقد لجأ القرآن الكريم إلى الاستدلال بهما على اثبات الخالق – سبحانه وتعالى –؛ لأنهما أضخم ظواهر الطبيعة الحسية؛ ليعلم أن وراءها خالقًا قادرًا وربًا حكيمًا.فالمُتأمل في خلقهما يُدرك عظمة الخالق جلّ وعلا، قال تعالى: ﴿ لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾﴾(١). فالسماء من أعظم الآيات في علوها وارتفاعها، وسعتها وقرارها، وجعلها كالبناء المُرتفع فوق الأرض، قال تعالى: ﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾﴾(٢).وكذا الأرض في جعلها مُنبسطة سهلة، وتذليلها وتسخيرها للناس؛ ليسهل العيش فيها، والانتقال من مكان لآخر، حيث قال تعالى: ﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ(٣) ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا(٤) ﴿٣١﴾﴾ (٥). فقد ذكر غير واحد من المفسرين بأن خلق السماء مقُدم على دحو الأرض فخُلقت السماء أولًا ثم بعد ذلك دُحيت الأرض وبُسطت، وجعل فيها الجبال والأنهار والأشجار.

---

(١) [غافر:٥٧].

(٢) [النازعات:٢٧].

(٣) **{ وَالْأَرْض بعد ذَلِك دحاها}**: أي: بسطها ومهدها. **ينظر:** الكليات لأبي البقاء الكفوي، ج/ ١، ص/ ٤٥٣.

(٤) **المرعي:** ما يُرعى من الكلأ ونحوه. معجم لغة الفقهاء المؤلف: محمد رواس قلعجي – حامد صادق قنيبي / الناشر: دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع / الطبعة: الثانية، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م، ج/ ١، ص/ ٤٢٢.

(٥) [النازعات: ٣٠، ٣١].

قال الرازي في تفسيره: " في الآية دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ دَحْوَ الْأَرْضِ بَعْدَ خَلْقِ السَّمَاءِ؛ لِأَنَّ بِنَاءَ الْبَيْتِ يَكُونُ فِي الْعَادَةِ قَبْلَ الْفَرْشِ(١).

وذكر ابن عاشور في تفسيره المسمى "التحرير والتنوير" أَنَّ السَّمَاءَ خُلِقَتْ قَبْلَ الْأَرْضِ؛ لِأَنَّ لَفْظَ بَعْدَ ذلكَ أَظْهَرُ فِي إِفَادَةِ التَّأَخُّرِ مِنْ قَوْلِهِ: ثُمَّ اسْتَوى إِلَى السَّماءِ وَلِأَنَّ أَنْظَارَ عُلَمَاءِ الْهَيْئَةِ تَرَى أَنَّ الْأَرْضَ كُرَةٌ انْفَصَلَتْ عَنِ الشَّمْسِ كَبَقِيَّةِ الْكَوَاكِبِ السَّيَّارَةِ مِنَ النِّظَامِ الشَّمْسِيِّ. وَظَاهِرُ سِفْرِ التَّكْوِينِ يَقْتَضِي أَنَّ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ مُتَقَدِّمٌ عَلَى الْأَرْضِ(٢).

أولاً: تقديم السماء على الأرض:

عندما تُقدّم السماءُ على الأرض في القرآن الكريم فهذا هو الأصل الوارد في سياقات القرآن؛ لحكمة يقتضيها السياق ويتطلّبها المقام، كقوله – تعالى–: في سورة " سبأ ": ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَأۡتِينَا ٱلسَّاعَةُۖ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأۡتِيَنَّكُمۡ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِۖ لَا يَعۡزُبُ عَنۡهُ مِثۡقَالُ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَآ أَصۡغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرُ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ٣ ﴾ (٣).

الآية الكريمة حكاية من الله – سبحانه – لما قاله الكافرون في شأن يوم القيامة،.. وعبروا عن إنكارهم لها بقولهم: لا تَأْتِينَا السَّاعَةُ مُبالغة في نفيها نفيا كليًا، فكأنهم يقولون: لا تأتينا الساعة في حال من الأحوال؛ لأننا ننكر وجودها أصلًا، فضلا عن إتيانها. وقد أمر الله– تعالى– رسوله – صلى الله عليه وسلم – أن يرد عليهم بما يؤكد وجودها وإتيانها تأكيدًا قاطعًا فقال: قُلْ بَلى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُم(٤).

---

(١) مفاتيح الغيب للرازي ج/ ٢٨، ١٨٨.

(٢) التحرير والتنوير لابن عاشور ج/ ١، ص/ ٣٨٤.

(٣) [سبأ:٣].

(٤) التفسير الوسيط لفضيلة الامام الأكبر ج/ ١١، ص/ ٢٦٥. باختصار وتصرف يسير.

فجاءت الآية الكريمة في سياق الحديث عن الساعة، وتحذير المُنكرين ليوم البعث، والمكذبين بآيات الله، والساعة عندما تأتي فإنها تأتي من السماء وتبدأ بأهل السماء مصداقًا لقول الله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخۡرَىٰ فَإِذَا هُمۡ قِيَامٞ يَنظُرُونَ ٦٨﴾ (١).

لذا يقول صاحب تفسير المنار عند تفسير الآية الكريمة:" فَنَاسَبَ تَقْدِيمَ السَّمَاءِ لِأَنَّهَا أَعْظَمُ، فَإِنَّ فِيهَا مِنَ الشُّمُوسِ وَعَوَالِمِهَا مَا يَبْعُدُ بَعْضُهُ عَنْ بَعْضٍ مَسَافَةَ أُلُوفِ الْأُلُوفِ مِنَ السِّنِينَ الَّتِي تُقَدَّرُ أَبْعَادُهَا بِسُرْعَةِ النُّورِ،" (٢). فكان تقديم السماء على الأرض في هذه الآية أنسب للسياق.

وقال تعالى في سورة فاطر: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَٰلِمُ غَيۡبِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ٣٨﴾ (٣).

الآية الكريمة جاءت في سياق الاخبار بعلم الغيب أي: عالم بالأمور الخفية فيهما، التي تخفى على الخلق، فإذا علم ما غاب فمن باب أولى أن يعلم ما حضر وما شوهد فهو يعلم كل غائب في السماوات والأرض، وكل شيء اختفى في ظلمات الأرض سواء كانت حبة في رطب أو في يابس فإنه يعلمها ويعلم مصيرها، فهو يعلم ما في السماوات وما فوقهن، وما في الأرض وما تحتها وما بين ذلك.. ولا شكَّ أنَّ ما غاب في السماوات كان أعظم وأكثر وأشمل، فقدّم ذِكرها.

وقال تعالى في نفس السورة: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنۡ أَمۡسَكَهُمَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ٤١﴾(٤). فقدّم السماوات تنبيهًا على عِظَم قدرته – سبحانه –؛ لأنَّ خَلْقها أكبر مِن خلْق الأرض.

---

(١) [الزُّمَر:٦٨].

(٢) تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) لـــ محمد رشيد رضا، ج/ ١١، ص/ ٣٤٠.

(٣) [فاطر:٣٨].

(٤) [فاطر:٤١].

وجاء تقديم السماء على الأرض في آيات كثيرة في القرآن الكريم فورود تقديم خلق السماء على الأرض في آية (إن في خلق السماوات والأرض) في القرآن، وجاءت هذه الآية في سورتي البقرة وآل عمران، فقال تعالى في سورة البقرة: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَأٓيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾[1].

وقوله تعالى في سورة آل عمران: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَأٓيَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾﴾[2]. وقال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾﴾[3].

وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧيَ ٱلْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾﴾[4].

وجاء تقديم ذكر السماء مُقدمًا على ذكر الأرض في أكثر من آية منها قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِي ٱلْـَٔايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾﴾[5].

---

(١) [البقرة:١٦٤].

(٢) [آل عمران:١٩٠].

(٣) [الروم:٢٢].

(٤) [الأحقاف :٣٣].

(٥) [يونس :١٠١].

و قوله تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ (١). قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾﴾ (٢) وقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾﴾(٣).

وبالنظر والتأمل في سياق الآيات السابقة؛ نجد أنَّ السماوات مُقدّمة على الأرض، وهذا هو الكثير المُعتاد في آيات القرآن. ففي أغلب الآيات، إن لم تكن كلها، قد قدّم ذكر السماوات على الأرض.

يقول ابن عادل:" لم قَدَّمَ «السَّمَاء» على «الأرضِ» مع أنَّ ظاهر التنزيل يَدُلُّ على أنَّ خَلْقَ الأرْضِ مُقدَّمٌ على خَلْقِ السماءِ. فالجواب: أنَّ السَّمَاءَ كالدَّائرة، والأرْض كالمركز، وحُصُولُ الدَّائرة يوجبُ تعيين المَرْكَزِ، ولا يَنْعَكِسُ، فإنَّ حصول المَرْكَزِ لا يوجبُ تعيين الدَّائرةِ لإمْكَانِ أنْ يُحيطَ بالمركز الواَحِدِ دَوَائِرُ لا نهاية لها، فلمَّا تَقَدَّمت السماءُ على الأرضِ بهذا الاعتبارِ، وجب تقديم ذِكْرِ السماءِ على الأرض"(٤).

فالسماء فيها آيات لله سبحانه، دالة على وحدانيته وربوبيته، وعظم خلقها، وما فيها من الكواكب، وشمس وقمر ونجوم، وعلوها واستغنائها عن العمد في

---

(١) [يوسف:١٠٥].

(٢) [الأنبياء:٣٠].

(٣) [الجاثية: ٣، ٤].

(٤) اللباب في علوم الكتاب المؤلف: أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (المتوفى: ٧٧٥هـ) المحقق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض / الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان / الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ -١٩٩٨م ج/ ٨، ص/ ٩.

رفعها، وما فيها من العجائب مما لا يُوجد في الأرض. فكان تقديم السماء على الأرض في هذه المواضع أنسب للسياق.

ثانيًا: تقديم الأرض على السماء.

وقد تُقدّم الأرضُ على السماء خلافًا لهذا الأصل تبعًا لاقتضاء السياق كما في قوله –تعالى– في سورة البقرة: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾[1].

جاءت هذه الآية الكريمة في سياق توجيه النظر إلى وجوب عبادة الله وحده وشكره على نعمه؛ فقال – سبحانه في الآية التي قبلها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾﴾ [2].

لذا يقول صاحب نظم الدرر: "وقدم الأرض؛ لأن نظر النفوس إلى ما تحتها أسبق لها من نظرها إلى ما علا عليها"[3] فقد بدأ بذِكر الأرض؛ لأنها أقرب إلى النظر والتأمل، وفيها المُستقر والمعاش والفراش.

وقال تعالى في سورة البقرة أيضًا: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾﴾[4].

---

(١) [البقرة:٢٢].

(٢) [البقرة:٢١].

(٣) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور المؤلف: إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: ٨٨٥هـ) الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ج/١، ص/ ١٥١.

(٤) [البقرة:٢٩].

فدلت الآية الكريمة على أن الأرض مخلوقة قبل السماء.

قال ابن كثير: "فَفِي هَذَا دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّهُ – تَعَالَى – ابْتَدَأَ بِخَلْقِ الْأَرْضِ أَوَّلًا ثُمَّ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ سَبْعًا، وَهَذَا شَأْنُ الْبِنَاءِ أَنْ يَبْدَأَ بِعِمَارَةِ أَسَافِلِهِ ثُمَّ أَعَالِيهِ بَعْدَ ذَلِكَ "(١).

جاءت الآية الكريمة في سياق التعجيب من الكفر مع قيام البرهان أو للتوبيْخ، والمعنى: كيف حالكم وبعدكم عن الإدراك والحق، وأنتم تكفرون بالله الذي أنشأكم وأخرجكم من الموت إلى الحياة؟!.

يقول فضيلة الامام الأكبر:". وقدم الأرض هنا؛ لأنها أدل؛ لشدة المُلابسة والمُباشرة. أي: أنه خلق جميع ما في الأرض من نحو الحيوان والنبات والمعادن والجبال من أجلكم، فهو المنعم عليكم؛ لتنتفعوا بها في دُنياكم، وتستعينوا بها على طاعته(٢). فكان تقديم الأرض هنا أنسب للسياق ببيان فضل الله – عز وجل – ومنّتُه على العباد بأنْ خلَق لهم ما في الأرض جميعًا وأباحه لهم.

وقال تعالى **في سورة طه:** ﴿تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى ﴿٤﴾﴾(٣).

جاءت الآية الكريمة في سياق الحديث عن إنزال القرآن الكريم على النبي، وأنه سبحانه لم يرد بإنزال القرآن عليه الشقاء أو التعب، ولكن أراد أن يُذِّكر بالقرآن من يخاف وعيده. أي: هذا القرآن الذي جاءك يا محمد، هو تنزيل من ربك، رب كل شيء ومليكه، القادر على ما يشاء، الذي خلق الأرض بانخفاضها وكثافتها، وخلق السموات العُلى في ارتفاعها ولطافتها.

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج/ ١، ص/ ١٢١.

(٢) التفسير الوسيط لفضيلة الامام الأكبر، ج/ ١، ص/ ٨٩.

(٣) [طه:٤].

يقول البيضاوي عند تفسير الآية الكريمة :" تفخيم لشأن المُنزَل بفرط تعظيم المُنزِل بذكر أفعاله وصفاته على الترتيب الذي هو عند العقل، فبدأ بخلق الأرض والسموات التي هي أصول العالم، وقدم الأرض؛ لأنها أقرب إلى الحس وأظهر عنده من السموات العلى(١).

فنلاحظ أن تقديم الأرض أنسب للسياق؛ لأن إنزال القرآن تذكرة لمن يخشى – وهم سُكان الأرض – فناسب البدء بالأرض؛ لأنها هي التي أنزل فيها القرآن تذكرة لأهلها.

وجاء تقديم ذكر الأرض مقدمًا على ذكر السماء في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾﴾ (٢). سياق الآية الكريمة في الحديث عن شهادته – سبحانه وتعالى – على شؤون أهل الأرض وأحوالهم وأعمالهم؛ لأنَّ الكلام قبلها على أهل الأرض؛ حيث قال – تعالى –: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِن قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ....﴾ ولما كان الكلام في الآية عن سكان الأرض؛ ناسب تقديم الأرض التي هي مسكنهم.

لذا يقول الشوكاني:" وَقَدَّمَ الْأَرْضَ عَلَى السَّمَاءِ: لِأَنَّهَا مَحَلُّ اسْتِقْرَارِ الْعَالَمِ فَهُمْ يُشَاهِدُونَ مَا فِيهَا مِنْ قُرْبٍ"(٣).

---

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل المؤلف: ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: ٦٨٥هـ) المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة: الأولى ١٤١٨ هـ، ج/ ٤، ص/ ٢٣.

(٢) [يونس:٦١].

(٣) فتح القدير المؤلف: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ) الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت الطبعة: الأولى – ١٤١٤ هـ، ج/ ٢، ص/ ٥١٩.

وصدق الشوكاني في ذلك فمن المعروف أن الأرض بالنسبة للإنسان هي بيئته التي مكَّنه الله منها دون غيرها من أجزاء الكون الفسيح، ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّٰكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿١٠﴾﴾ (١). وهي مستقره الذي يحيى فيه ولا يستطيع العيش دونه، ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٤﴾﴾ (٢).

أما السموات – فعلى عظمتها وسعتها – ليس فيها موضع يمكن لنا أن نستقر فيه، فالأرض بالنسبة لنا هي السكن والمستقر والمتاع، فالتنويه بذكرها تذكير مباشرة بشيء محسوس لجميع بني آدم، وهو أدعى للامتنان وشكر الله تعالى، والقرآن الكريم لم ينزل فقط لعلماء الهيئة والفلك ونحوهم، بل نزل للناس كافة، وفيهم من لا يُدرك إلا البيئة القريبة التي يباشر حياته عليها.فكان تقديم الأرض أنسب للسياق.

وجاء أيضًا تقديم ذكر الأرض مقدمًا على السماء في قوله تعالى في سورة الزمر: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾ (٣).

أي: ما قدرُوا عظمتَه – تعالى – في أنفسهم حقَّ عظمتِه حيثُ جعلُوا له شريكًا ووصفُوه بما لا يليق بشئونه الجليلةِ مع أنهم لو استغرقوا الزمان كله في عبادته وخالص طاعته بحيث لم يخل شيء منه عنها لما كان ذلك حق قدره فكيف إذا خلا بعضه عنها فكيف إذا عدل به غيره. وقدم الأرض على السموات؛ لمباشرتهم لها ومعرفتهم بحقيقتها(٤).

---

(١) [الأعراف:١٠].

(٢) [الأعراف:٢٤].

(٣) [الزُّمَر:٦٧].

(٤) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود ج/ ٧، ص/ ٢٦٢، والسراج المنير للخطيب الشربيني، ج/ ٣، ص/ ٤٦٠.

فجاءت الآية الكريمة في سياق الذم من الله – سبحانه وتعالى – لطائفة من عباده؛ لعدم توقيرهم له – عز وجل – كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، فكان تقديم الأرض أنسب للسياق؛ لأن الآية الكريمة سيقت في التهديد والوعيد والذم لأهل الأرض وليس لأهل السماء، فقدمت الأرض في الآية الكريمة لهذه المناسبة.

وقال تعالى في سورة العنكبوت: ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ ٢٢﴾[١].

أي: مَا أَنْتُمْ مَعْشَرَ الْمُشْرِكِينَ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ، أَيْ لَا تُعْجِزُونَنِي حَيْثُمَا كُنْتُمْ، فَلَا تَسْبِقُونَنِي بِسَبَبِ هَرَبِكُمْ فِي الْأَرْضِ وَما لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ والمراد بهم مَنْ يَعْبُدُ الْأَصْنَامَ، بَيَّنَ أَنَّهُ لَا فَائِدَةَ فِيهَا الْبَتَّةَ، وَالنَّصِيرُ هُوَ اللَّهُ تَعَالَى، فَلَا جرم هو الذي تحسن عبادته[٢].

وقد التمس العلماء الحكمة من تقدّيم الأرض على السماء في الآية الكريمة فقالوا"؛ لأن السماء أبعد وأفسح فهربهم المُمكن في الأرض، فإن كان يقع منهم هرب فإنه يكون في الأرض، أي إن هربتم من حكمه وقضائه في الأرض الفسيحة أو في السماء التي هي أفسح منها وأبعد فإنكم لا تفوتون الله، والمراد لا تعجزونه كيفما هبطتم في أعماق الأرض أو علوتم إلى البروج المشيدة الذاهبة في السماء كقوله: ﴿وَلَوۡ كُنتُمۡ فِي بُرُوجٖ مُّشَيَّدَةٖۗ﴾[٣] فلذلك قدم الأرض على السماء، والولي على النَّصِير[٤] فكان تقديم الأرضُ أنسب للسياق؛ لأنها في

---

(١) [العنكبوت:٢٢].

(٢) مفاتيح الغيب للرازي ج/ ٢٧، ص/٦٠١.

(٣) [النساء:٧٨].

(٤) اللباب في علوم الكتاب لابن عادل ج/ ١٥، ص/ ٣٣٥، وإرشاد العقل السليم لأبي السعود ج: ٧، ص/.

سياق تعجيز المُشركين عن الهرب من الله – سبحانه – والفوت من عذابه، وأمر الأرض في ذلك أيسر من السماء، فبدأ بالأرض مُبالغةً في بيان عجزهم.

ومن هنا نُدرك جميعًا أنه من دقائق القرآن، ولمساته البيانية، ولطائفه في البلاغة، أن يُقدم أحد الاسمين المُتلازمين في آية، لسر من أسرار البلاغة يقتضيها ذلك المقام؛ فيقدم السماء على الأرض في مقام، ويُؤخرها عليها في مقام آخر. وكل واحد منهما تحته سر ورمز إلى لطائف غريبة، ومعان عجيبة، فعلى الناظر إعمال نظره في استنباطها، وإمعان فكره في استخراجها؛ لما من فخامة التعبير القرآني وعُلُوِّهِ وأن مثل هذا النّظْم لا يمكن أن يكون في طوق بشر فسبحان الله رب العالمين.

المبحث الرابع

التقديم والتأخير ودلالة المُقدم على السبق الزمني. في آيات اللعب واللهو[١]

جاء التحذير من اللعب واللهو في القرآن الكريم، تارة بتقديم اللهو على اللعب، وأخرى بتقديم اللعب على اللهو، وجملة الوارد منها في كتاب الله ستة مواضع، اثنان منها بتقديم اللهو على اللعب، والأربعة الباقية بتقديم اللعب على اللهو.

ولسائل أن يسأل: إذا كانت (الواو) تُفيد الجمع بين الشيئين والأشياء بلا ترتيب، فهل لتقديم أحد الاسمين على الآخر في موضع دون موضع، وتقديم الآخر عليه في غير ذلك الموضع فائدة تخصه؟ أم كان جائزًا في كل مكان تقديم أيهما شاء المتكلم لا لغرض يخصه؟.

أولاً: تقديم اللهو على اللعب:

قُدم اللهو على اللعب في القرآن الكريم في موضعين.

الآية الأولى في سورة الأعراف قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ لَهۡوٗا وَلَعِبٗا وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۚ فَٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰهُمۡ كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوۡمِهِمۡ هَٰذَا وَمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ ٥١﴾ [٢].

---

(١) **اللعب:** هو فعل الصبيان، يعقُب التعب من غير فائدة. **واللهو:** هو الشيء الذي يتلذَّذ به الإنسان فيلهيه، ثم ينقضي. **ينظر:** التعريفات المؤلف: علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: ٨١٦هـ) المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر: دار الكتب العلمية بيروت –لبنان الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ –١٩٨٣م، ج/١، ص/ ١٩٢، ١٩٤. **وبالتأمل فيهما:** يجد أنهما غير مترادفين. بل لكل منهما معنى. فاللعب لا يكون إلا فعلًا لم يتحدد من ورائه قصد مفيد. أما اللهو فقد يكون فعلًا من أفعال النفس غير مصحوب بحركة ويكون حينئذ أقرب إلى معنى الذهول.

(٢) [الأعراف:٥١].

جاءت الآية الكريمة إخبارًا عن حال الكافرين المُوجبة لتعذيبهم فقد جاءت عقيب قوله جلَّ شأنه: ﴿ وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَنۡ أَفِيضُواْ عَلَيۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ أَوۡ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُۚ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾ ﴾ (١).

والمعنى: أن أهل النار- بعد أن أحاط بهم العذاب المهين- أخذوا يستنجدون أهل الجنة بذلة وانكسار فيقولون لهم: أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله من طعام؛ لكي نستعين بهما على ما نحن فيه من سموم وحميم.

وهنا يرد عليهم أهل الجنة بما يقطع آمالهم بسبب أعمالهم فيقولون لهم: إن الله منع كلًا منهما على الكافرين، الذين اتخذوا دينهم لهوًا ولعبًا، أي: الذين اتخذوا دينهم- الذي أمرهم الله باتباع أوامره واجتناب نواهيه- مادة للسخرية والتلهي، وصرف الوقت فيما لا يُفيد، فأصبح الدين- في زعمهم- صورة ورسومًا لا تزكى نفسًا، ولا تطهر قلبا، ولا تهذب خلقا وهم فوق ذلك قد غرتهم الحياة الدنيا- أي شغلتهم بمتعها ولذائذها وزينتها عن كل ما يقربهم إلى الله، ويهديهم إلى طريقه القويم.

ولعل الحكمة من تقديم (اللهو) على (اللعب) في هذه الآية؛ لأن الكافرين هُنا مراد به عامة الكفار، وغير مُختص بمن سمع الآيات، فقدَّم فعل أكثرهم على فعل أقلهم، وهم الذين شغلتهم الحياة الدنيا وحلاوتها، والولاية وغباوتها، وركنوا إلى ما مرنت عليه طباعها، وهذا هو (اللهو). فناسب ذلك من ذكر الحياة الدنيا، تقديم ما يساوق تلك السن، فقدم ذكر اللهو والتالي للعب، ليناسب وليحصل ذكرُ مانعهم من الاستجابة وتكميل النظر المخلص لهم، وأخَّر ذكر اللعب الذي لا يساوق، مع أنه متبوع اللهو لزوما لمن لم يسبق له سابقة سعادة، فهذا وجه التقديم والتأخير فيما ذكر، ولو ورد على العكس لما كان ليناسب، والله أعلم.

---

(١) [الأعراف:٥٠].

الآية الثانية في سورة العنكبوت قال تعالى: ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ (١).

قال الرازي في مناسبة الآية لما قبلها: لما بين أنهم يعترفون بكون الله هو الخالق وكونه هو الرزاق وهم يتركون عبادته ولا يتركونها إلا لزينة الحياة الدنيا بين أن ما يميلون إليه ليس بشيء بقوله: (وما هذه الحياة الدنيا إلا لهو)(٢).

أي: وما هي لسرعة زوالها عن أهلها وموتهم عنها إلا كما يلعب الصبيان ساعة ثم يتفرقون وفيه ازدراء بالدنيا وتصغير لأمرها وكيف لا تضرها وهى لا تزن عنده جناح بعوضة واللهو ما يتلذذ به الإنسان فيلهيه ساعة ثم ينقضي {وَإِنَّ الدار الآخرة لهي الحيوان} أي: الحياة ليس فيها إلا حياة مُستمرة دائمة لا موت فيها فكأنها في ذاتها حياة(٣).

تقدم ذكر اللهو على اللعب في الآية الكريمة، ولو لاحظنا الآية التي سبقت هذه الآية في نفس السورة نجد أنها كَانَت تَتَحَدَّثُ عن الرِّزق والحَيَاةِ الدُّنيَا، وذلكَ بِقَولِهِ تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٢﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾﴾ (٤).

فالبَالُ هُنَا مَصرُوفٌ إلى الدُّنيَا وزِينَتِهَا، والنّفسُ تَشتَغِلُ بذلكَ، والدُّنيَا خَدَّاعَةٌ تَدعُو النُّفُوسَ إلى الإقبَالِ عَلَيهَا، والاستِغرَاقِ فِيهَا، فطلب الرزق ليس مدعاة اللعب وإنما مدعاة اللهو يشغل الإنسان ويلهيه، لذلك نهى الله تعالى عن

(١) [العنكبوت:٦٤].
(٢) مفاتيح الغيب للرازي ج/ ٢٥، ص/ ٧٥.
(٣) مدارك التنزيل وحقائق التأويل للنسفي ج/ ٢، ص/ ٦٨٥.
(٤) [العنكبوت٦١ :٦٢].

الالتهاء به في سورة المنافقون: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٩﴾[1].

ففي الآية الكريمة نهي من الله – تعالى – للمؤمنين عن الالتهاء بجمع الأموال، والعباد عمومًا يلتهون بالمال سواء كانوا ممن بسط الله تعالى لهم الرزق أو ممن قُدر عليهم رزقهم، وعليه تقدّم ذكر اللهو على اللعب في آية سورة العنكبوت دون باقي السور.

وعلل الزركشي في البرهان تقديم اللهو على اللعب فقال :" وَقَدَّمَ اللَّهْوَ فِي الْأَعْرَافِ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَذَكَرَ عَلَى تَرْتِيبِ مَا انْقَضَى وَبَدَأَ بِمَا بِهِ الْإِنْسَانُ انْتَهَى مِنَ الْحَالَيْنِ وَأَمَّا الْعَنْكَبُوتُ فَالْمُرَادُ بِذِكْرِهِمَا زَمَانُ الدُّنْيَا وَأَنَّهُ سَرِيعُ الِانْقِضَاءِ قَلِيلُ الْبَقَاءِ: **{وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الحيوان}** أَيِ: الْحَيَاةُ الَّتِي لَا أَبَدَ لَهَا وَلَا نِهَايَةَ لِأَبَدِهَا فَبَدَأَ بِذِكْرِ اللَّهْوِ؛ لِأَنَّهُ فِي زَمَانِ الشَّبَابِ وَهُوَ أَكْثَرُ مِنْ زَمَانِ اللَّعِبِ وَهُوَ زَمَانُ الصِّبَا[2].

وبناء على ذلك: فاللّعِبُ لا حَرَجَ فِيهِ إذا صَدَرَ من المُكَلّفِ، ولم يَشغَلْهُ عن وَاجِبٍ، وكَانَ فِيهِ نَفْعٌ لَهُ، أمّا اللّهْوُ فهوَ الشّيءُ الذي لا مَصلَحَةَ فِيهِ، ويُلهِي عن شَيءٍ مَطلُوبٍ مِنهُ شَرعًا.

---

(١) [المنافقون:٩].

(٢) البرهان في علوم القرآن للزركشي ج/ ١، ص/ ١٢١،. وأسرار التكرار في القرآن المسمى البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان المؤلف: محمود بن حمزة بن نصر، أبو القاسم برهان الدين الكرماني، ويعرف بتاج القراء (المتوفى: نحو ٥٠٥هـ) المحقق: عبد القادر أحمد عطا مراجعة وتعليق: أحمد عبد التواب عوض دار النشر: دار الفضيلة ج/ ١، ١٠٨.

ثانيًا: تقديم اللعب على اللهو:

قُدم اللعب على اللهو في المواضع الأربعة الآتية:

الآية الأولى في سورة الأنعام قال تعالى: ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۖ وَلَلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٣٢﴾﴾(١). جاءت الآية الكريمة في سياق الحديث عن الآخرة؛ حيث أخبر – سبحانه – في الآية التي قبلها عن أَهوَالِ الذينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُم بِقَولِهِ تعالى: ﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا۟ يَٰحَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ ۚ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٣١﴾﴾(٢).

فالخَاطِرُ مَشغُولٌ عِندَ تِلاوَةِ هذهِ الآيَةِ بالآخِرَةِ، ولم يَكُنْ مَشغُولًا بالدُّنيَا، فَقَدَّمَ ذِكْرَ اللَّعِبِ على اللَّهْوِ، فَقَالَ: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾.

لذلك يقول ابن عاشور في مناسبة الآية لما قبلها: "لَمَّا جرَى ذِكْرُ السَّاعَةِ وَمَا يَلْحَقُ الْمُشْرِكِينَ فِيهَا مِنَ الْحَسْرَةِ عَلَى مَا فَرَّطُوا نَاسَبَ أَنْ يُذَكِّرَ النَّاسَ بِأَنَّ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا زَائِلَةٌ وَأَنَّ عَلَيْهِمْ أَنْ يَسْتَعِدُّوا لِلْحَيَاةِ الْآخِرَةِ. فَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ جَوَابًا لِقَوْلِ الْمُشْرِكِينَ: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٧﴾﴾(٣) فَتَكُونَ الْوَاوُ لِلْحَالِ، أَيْ: تَقُولُونَ إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَلَوْ نَظَرْتُمْ حَقَّ النَّظَرِ لَوَجَدْتُمُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا لَعِبًا وَلَهْوًا وَلَيْسَ فِيهَا شَيْءٌ بَاقٍ، فَلَعَلِمْتُمْ أَنَّ وَرَاءَهَا حَيَاةً أُخْرَى فِيهَا مِنَ الْخَيْرَاتِ مَا هُوَ أَعْظَمُ مِمَّا فِي الدُّنْيَا وَإِنَّمَا يَنَالُهُ الْمُتَّقُونَ، أَيِ: الْمُؤْمِنُونَ، فَتَكُونَ الْآيَةِ إِعَادَةَ لدعوتهم إِلَى الْإِيمَانِ وَالتَّقْوَى، وَيَكُونَ الْخِطَابُ فِي قَوْلِهِ: "أَفَلَا تَعْقِلُونَ" الْتِفَاتًا مِنَ الْحَدِيثِ عَنْهُمْ بِالْغَيْبَةِ إِلَى خِطَابِهِمْ بِالدَّعْوَةِ"(٤).

---

(١) [الأنعام :٣٢].

(٢) [الأنعام :٣١].

(٣) [المؤمنون :٣٧].

(٤) التحرير والتنوير لابن عاشور ج/ ٧، ص/ ١٩٢.

ويكشف لنا الامام الرازي عن سر تقديم اللعب على اللهو هنا :" فَيَقُولُ:" لَمَّا كَانَ الْمَذْكُورُ مِنْ قَبْلُ الْآخِرَةَ وَإِظْهَارَهُمْ لِلْحَسْرَةِ، حَيْثُ قال: ﴿يَٰحَسۡرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطۡنَا فِيهَا وَهُمۡ يَحۡمِلُونَ أَوۡزَارَهُمۡ عَلَىٰ ظُهُورِهِمۡۚ﴾ ففِي ذَلِكَ الْوَقْتِ يَبْعُدُ الِاسْتِغْرَاقُ فِي الدُّنْيَا بَلْ نفس الاشتغال بها فأخر الأبعد] فَلَمْ تَكُنِ الدُّنْيَا فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ فِي خَاطِرِهِمْ فَقَالَ: وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيا. (١).

الآية الثانية في سورة الأنعام قال تعالى: ﴿وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ لَعِبٗا وَلَهۡوٗا وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۚ﴾(٢).

أي: دينهم الذي كان يجب أن يأخذوا به لعبًا ولهوًا. وذلك أن عبدة الأصنام وما كانوا عليه من تحريم البحائر والسوائب وغير ذلك، من باب اللعب واللهو واتباع هوى النفس والعمل بالشهوة، ومن جنس الهزل دون الجد. واتخذوا ما هو لعب ولهو من عبادة الأصنام وغيرها دينًا لهم. أو اتخذوا دينهم الذي كلفوه ودعوا إليه وهو دين الإسلام لعبًا ولهوًا، حيث سخروا به واستهزأوا. ومَعْنَاهُ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَلَا تُبَالِ بِتَكْذِيبِهِمْ وَاسْتِهْزَائِهِمْ وَلَا تُقِمْ لَهُمْ فِي نَظَرِكَ وَزْنًا وَذَكِّرْ بِهِ (٣).

ولعل الحكمة من تقديم اللعب في الأنعام أنه المُتقدم في الوجود الدنيوي على اللهو، ولأن أول ابتداء تعقل الإنسان وميْزُه حال اللعب، وهو المطابق لسن الابتداء، فإذا استمر ألهى عن التدبر والاعتبار وشغل تماديه عن التفكر فيما به النجاة والفوز، وقد ينضاف إلى اللعب شاغل أو غيره أو يعاقبه، فيحصل بالمجموع الغفلة عن النظر في الآيات، فيعقب الهلاك، قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ ذَرَأۡنَا

(١) مفاتيح الغيب للرازي ج/ ٢٥، ص/ ٧٥.
(٢) [الأنعام :٧٠].
(٣) الكشاف للزمخشري ج/ ٢، ص/٣٦، ومفاتيح الغيب للرازي ج/ ١٢، ص/٢٤.

لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾ (١).فلما لم يبرح هؤلاء عن الجري على مهيع الصم والبكم الذين لا يعقلون، جرى الإخبار عنهم في الآية الثانية من الأنعام بمقتضى أحوالهم في أعمارهم التي لم تخرج عن أحوال البهائم، فأول أعمارهم لعب، وعقب ذلك لهو، فورد الإخبار على حسب جري الأعمار، وأنهم اعتمدوا البقاء مع مقتضى الطبع الإنساني، إذ لم يصغ المكلف إلى داع، ولا تكلف الخروج عن مقتضى هواه، ولا جنح إلى مفارقة مألوف الطباع، قال تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَـٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾ ﴾ (٢)، فأمر تعالى نبيه – عليه السلام – بالإعراض عنهم فقال: ﴿ وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ ﴾ (٣).على مقتضى الهوى والطبع، وهذه الحال هي التي نبه – سبحانه – عباده المؤمنين إليها، على أنها حال الحياة الدنيا وصفتها التي تمتاز بها، فأعلم بذلك ليجتنبوها ويحذروا غرورها، فقال تعالى في الآية الأولى من هذه السورة: ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۖ ﴾ (٤).والله أعلم.

الآية الثالثة في سورة محمد قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْـَٔلْكُمْ أَمْوَٰلَكُمْ ﴿٣٦﴾ ﴾ (٥).

(١) [الأعراف:١٧٩].
(٢) [مريم:٧٧].
(٣) [الأنعام :٧٠].
(٤) [الأنعام:٣٢]
(٥) [محمد:٣٦].

الآية الكريمة حض على الآخرة بذم الدنيا: إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ أي: باطل وغرور يعني: كيف تمنعكم الدنيا عن طلب الآخرة وقد علمتم أن الدنيا كلها لعب ولهو إلا ما كان منها في عبادة الله – عز وجل – وطاعته، واللعب ما يشغل الإنسان وليس فيه منفعة في الحال ولا في المآل ثم إذا استعمله الإنسان ولم يشغله عن غيره ولم ينسه أشغله المهمة فهو اللعب وإن أشغله عن مهمات نفسه فهو اللهو" ﴿وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْـَٔلْكُمْ أَمْوَٰلَكُمْ ﴿٣٦﴾﴾ يعني: يؤتكم جزاء أعمالكم في الآخرة وَلا يَسْئَلْكُمْ أَمْوالَكُمْ يعني: أن الله تعالى لا يسأل من العباد أموالهم لإيتاء الأجر عليهم، بل يأمرهم بالإيمان والتقوى والطاعة؛ ليثيبهم عليها الجنة.(١).

جاءت الآية الكريمة في سياق الحديث عن الآخرة؛ حيث أخبر – سبحانه – في الآية التي قبلها عن أَحوَالِ الذينَ لن يَغفِرَ اللهُ تعالى لَهُم، بِقَولِهِ تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ﴿٣٤﴾ فَلَا تَهِنُوا۟ وَتَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٥﴾﴾(٢).

فالبَالُ مَشغُولٌ بالخَاتِمَةِ والأَجْرِ على الأَعمَالِ يَومَ القِيَامَةِ، فَقَدَّمَ ذِكْرَ اللّعِبِ على اللّهْوِ بِقَولِهِ تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْـَٔلْكُمْ أَمْوَٰلَكُمْ ﴿٣٦﴾﴾(٣).

ويكشف لنا الرازي عن سر تقديم اللعب على اللهو فيقول :"وَإِنَّمَا ذَكَرَ اللَّعِبَ مُقَدَّمًا عَلَى اللَّهْوِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيا لَعِبٌ وَلَهْوٌ"؛ تَنْبِيهًا عَلَى أَنَّ اشْتِغَالَهُمْ بِاللَّعِبِ الَّذِي مَعْنَاهُ السُّخْرِيَةُ وَالِاسْتِهْزَاءُ مُعَلَّلٌ بِاللَّهْوِ الَّذِي مَعْنَاهُ

(١) لباب التأويل في معاني التنزيل للخازن ج/ ٤، ص/١٥٠.
(٢) [محمد ٣٤، ٣٥].
(٣) [محمد :٣٦].

الذُّهُولُ وَالْغَفْلَةُ، فَإِنَّهُمْ أَقْدَمُوا عَلَى اللَّعِبِ لِلَهْوِهِمْ وَذُهُولِهِمْ عَنِ الْحَقِّ، واللَّه أَعْلَمُ بِالصَّوَابِ" (١).

الآية الرابعة في سورة الحديد قال تعالى: ﴿ ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ وَتَكَاثُرٞ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِۖ كَمَثَلِ غَيۡثٍ أَعۡجَبَ ٱلۡكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصۡفَرّٗا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمٗاۖ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٞ شَدِيدٞ وَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٞۚ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ﴿٢٠﴾ ﴾ (٢).

جاءت الآية الكريمة في سياق الحديث عن الآخرة فالآيَةُ التي سَبَقَت تِلكَ الآيَةِ كَانَت تَتَحَدَّثُ عن أَحوَالِ الصِّدِّيقِينَ والشُّهَدَاءِ، وعن الذينَ كَفَرُوا وكَذَّبُوا، وعن مَآلِ الفَرِيقَينِ يَومَ القِيَامَةِ، فالبَالُ مَشغُولٌ بأَهوَالِ يَومِ القِيَامَةِ، فَقَدَّمَ ذِكْرَ اللّعِبِ على اللّهْوِ.

وقد التمس بعض العلماء الحكمة من التقديم في الآية: يقول الشيخ رشيد رضا عند تفسير الآية الكريمة:" وَالَّذِي يَظْهَرُ لَنَا فِي نُكْتَةِ ذَلِكَ أَنَّ تَقْدِيمَ اللَّعِبِ عَلَى اللهْوِ لَا يَحْتَاجُ إِلَى تَعْلِيلٍ؛ لِأَنَّهُ الْأَصْلُ الْمُقَدَّمُ فِي الْوُجُودِ، وَقَدْ فَصَّلَتْ آيَةُ الْحَدِيدِ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا بِحَسَبِ تَرْتِيبِهِ الَّذِي تَقْتَضِيهِ الْفِطْرَةُ الْبَشَرِيَّةُ، فَقَدَّمَ فِيهَا اللَّعِبَ؛ لِأَنَّ أَوَّلَ عَمَلٍ لِلطِّفْلِ يَلَذُّ لَهُ هُوَ اللَّعِبُ الْمَقْصُودُ عِنْدَهُ لِذَاتِهِ، وَذَكَرَ بَعْدَهُ اللهْوَ؛ لِمَا فِيهِ مِنَ الْقَصْدِ الَّذِي لَا يَأْتِي مِنَ الطِّفْلِ ؛ لِأَنَّهُ لَا يَحْصُلُ إِلَّا لِذِي الْفِكْرِ وَبَعْدَهُ الزِّينَةَ الَّتِي هِيَ شَأْنُ سِنِّ الصِّبَا، وَبَعْدَهُ التَّفَاخُرَ الَّذِي هُوَ شَأْنُ الشُّبَّانِ، وَبَعْدَهُ التَّكَاثُرَ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ الَّذِي هُوَ شَأْنُ الْكُهُولِ وَالشُّيُوخِ" (٣).

---

(١) مفاتيح الغيب للرازي ج/ ٢٢، ص/ ١٢٠.

(٢) [الحديد :٢٠].

(٣) تفسير القرآن الحكيم المسمى المنار للشيخ رشيد رضا ج/ ٧، ص/ ٣٠٦.

وذكر الزركشي في البرهان والكرماني في أسرار تكرار القرآن هذه المواضع الأربعة، وعللوا تقديم اللعب على اللهو بأن اللعب يكون زمن الصبا. واللهو يكون زمن الشباب، وزمان الصبا مُتقدم على زمان اللهو.. .. وإنما ذكر ذلك هنا؛ لأن المراد زمان الدنيا وأنه سريع الانقضاء قليل البقاء (١).

فترتيب الحياة على هذه الأحوال، يُوجب تقديم حال اللعب على حال اللهو فاللعب أول مراحل الطفولة، والتكاثر في الأموال والأولاد نهاية المطلب وقمة اعتلاء عروش الدنيا.

وبالتأمل في الآيات السابقة نجد أنه قَدَّمَ ذِكْرَ اللَّعِبِ على اللَّهْوِ عِندَمَا كَانَتِ الآيَاتُ السَّابِقَةُ لَهَا تَتَحَدَّثُ عن الآخِرَةِ ونَتَائِجِهَا، وأمَّا عِندَمَا قَدَّمَ ذِكْرَ اللَّهْوِ على اللَّعِبِ، كَانَتِ الآيَاتُ السَّابِقَةُ لَهَا تَتَحَدَّثُ عن الدُّنيَا، والدنيا سابقة للآخرة؛ هذا وكله راجع إلى دقائق وأسرار لا يُحرم المُتأمل من شيء منها لو أحسن التأمل. وعمق الفكر: ﴿كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ١﴾ (٢).

والله تعالى أعلم.

(١) البرهان في علوم الفرآن للزركشي ج/ ١، ص/ ١٢١، وأسرار التكرار في القرآن للكرماني، ج/ ١، ١٠٨.

(٢) [هود:١].

الخاتمـــــة

الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مُباركًا فيه أن أعانني على إتمامِ هذا البحث وإخراجه في هذه الصورة. وبعد.

فالقرآن الكريم كلام الله تعالى، وحيث إنه كلام الله ـــــ تعالى ـــ، فكلُ آية فيه جاءت بقدر وحكمة وكل كلمة بل وكل حرفٍ فيه جاء بقدر وحكمة، فكل تقديم وتأخير فيه جاء على حكمة بالغة، وقدرة فائقة، ليس فيه ما يُفسد المعنى، وإنما فيه الواضح الجلي البليغ، وليس هناك ما يقوم مقامه، فكأن المعنى يقتضي ما تقدم أو تأخر اقتضاءً طبيعيًا، بما يؤثر في المُتلقي تأثيرًا واضحًا.

ولا أدعي بأنني وقفت على جميع مواضع التقديم والتأخير في القرآن الكريم التي جاءت بتقديم كلمة في موضع وتأخيرها في موضع آخر ،أو أتيت بما لم يأت به الأوائل، وما نقلته عن أعلام التفسير والبيان، وما ارتأيته حسب قُدرتي المحدودة، ما هو إلا غيض من فيض منابع بلاغة القرآن الكريم، الذي لا تنقضي عجائبه وحسبي أن أكون قد أعطيت الموضوع ما يستحق من العناية والاهتمام؛ ليكون بهذه الصورة التي هو عليها. .... وإلا فالكمال لله وحده، ولله الحمد أولا وآخرًا.

وفيما يلي أهم النتائج والتوصيات التي توصلت إليها من خلال البحث:

أولا: أهم نتائج البحث:

يمكن تلخيص أهم نتائج البحث فيما يلي:

١- يتميز القرآن الكريم بالدقة في اختيار الكلمة، والدقة في اختيار موضعها، فإن قدم كلمة على أخرى فلحكمة لغوية وبلاغية تليق بالسياق العام.

٢- أن التقديم والتأخير عمليتان مُتلازمتان لا تقع الأولى إلا بالثانية والعكس.

٣- **تبين لي من خلال البحث:** أن تقديم ما أصله التأخير، وتأخير ما أصله التقديم، أو تقديم شيء على آخر أو تأخيره عليه، للتنويه على أن ذكر المقدَّم أهم من ذكر المؤخر وهو منوط بفوائد جليلة ولكل ذلك سبب وقصد.

ثانيًا: التوصيات :

١- أوصي طلاب العلم، أن يقفوا مع القرآن الكريم وأن يقرؤوه بشيء من التمعُن، فما أحوجنا إلى تدبر كتاب الله، والوقوف عند جماليات التقديم والتأخير التي لا تُخطئها العين في كل سورة بل في كل آية منه.

٢- أوصي الباحثين والدارسين بمُواصلة استخراج باقي مواضع التقديم والتأخير من القرآن الكريم التي جاءت بتقديم كلمة في موضع وتأخيرها في موضع أخر، والوقوف على لمساتها البيانية التي تدل على إعجاز القرآن الكريم الذي لا تنقضي عجائبه.

هذا ما تيسر إيراده، وأعان المولى على بيانه، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

فهرس المصادر والمراجع

أولاً: القرآن الكريم جلَّ من أنزله .

ثانيًا: كتب التفسير:

١- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم المؤلف: أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: ٩٨٢هـ) الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٢- أنوار التنزيل وأسرار التأويل المؤلف: ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: ٦٨٥هـ) المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة: الأولى ١٤١٨ هـ .

٣- البحر المحيط في التفسير المؤلف: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ) المحقق: صدقي محمد جميل الناشر: دار الفكر – بيروت الطبعة: ١٤٢٠ هـ.

٤- التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» المؤلف: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ) الناشر: الدار التونسية للنشر – تونس سنة النشر: ١٩٨٤ هـ

٥- تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) المؤلف: محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن علي خليفة القلموني الحسيني (المتوفى: ١٣٥٤هـ) الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة النشر: ١٩٩٠م.

٦- التفسير القرآني للقرآن المؤلف: عبد الكريم يونس الخطيب (المتوفى: بعد ١٣٩٠هـ) الناشر: دار الفكر العربي – القاهرة.

٧- التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج المؤلف: د وهبة بن مصطفى الزحيلي الناشر: دار الفكر المعاصر - بيروت، دمشق / الطبعة: الثانية، ١٤١٨ هـ.

٨- التفسير الوسيط للقرآن الكريم المؤلف: محمد سيد طنطاوي الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة - القاهرة الطبعة: الأولى.

٩- جامع البيان في تأويل القرآن المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ) المحقق: أحمد محمد شاكر / الناشر: مؤسسة الرسالة /الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.

١٠- الخواطر= تفسير الشعراوي المؤلف: محمد متولي الشعراوي (المتوفى: ١٤١٨هـ) / الناشر: مطابع أخبار اليوم.

١١- روح البيان المؤلف: إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي، المولى أبو الفداء (المتوفى: ١١٢٧هـ) الناشر: دار الفكر - بيروت.

١٢- السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير المؤلف: شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي (المتوفى: ٩٧٧هـ) الناشر: مطبعة بولاق (الأميرية) - القاهرة / عام النشر: ١٢٨٥ هـ.

١٣- غرائب القرآن ورغائب الفرقان المؤلف: نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري (المتوفى: ٨٥٠هـ) المحقق: الشيخ زكريا عميرات الناشر: دار الكتب العلميه - بيروت الطبعة: الأولى - ١٤١٦هـ.

١٤- فتح القدير المؤلف: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ) الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت الطبعة: الأولى - ١٤١٤ هـ.

١٥- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل / المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ) / الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت / الطبعة: الثالثة – ١٤٠٧ هـ.

١٦- لباب التأويل في معاني التنزيل المؤلف: علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن (المتوفى: ٧٤١هـ) المحقق: تصحيح محمد علي شاهين /الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت / الطبعة: الأولى – ١٤١٥ هـ.

١٧- اللباب في علوم الكتاب المؤلف: أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (المتوفى: ٧٧٥هـ) المحقق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض / الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان / الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ –١٩٩٨م.

١٨- لطائف الإشارات = تفسير القشيري المؤلف: عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (المتوفى: ٤٦٥هـ) المحقق: إبراهيم البسيوني الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب – مصر الطبعة: الثالثة.

١٩- المُحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز المؤلف: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ) المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى – ١٤٢٢ هـ

٢٠- مدارك التنزيل وحقائق التأويل المؤلف: أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (المتوفى: ٧١٠هـ) حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو / الناشر: دار الكلم الطيب، بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨ م.

٢١- معالم التنزيل المؤلف: عبد الله بن أحمد بن علي الزيد البغوي الناشر: دار السلام للنشر والتوزيع – الرياض الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ عدد الأجزاء: ١.

٢٢- مفاتيح الغيب = التفسير الكبير المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ) الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت / الطبعة: الثالثة – ١٤٢٠ هـ.

٢٣- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور المؤلف: إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: ٨٨٥هـ) الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

ثالثًا: كتب علوم القرآن:

٢٤- الإتقان في علوم القرآن المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي(المتوفى: ٩١١هـ) المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم / الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب / الطبعة: ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤ م.

٢٥- أسرار التكرار في القرآن المسمى البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان المؤلف: محمود بن حمزة بن نصر، أبو القاسم برهان الدين الكرماني، ويعرف بتاج القراء (المتوفى: نحو ٥٠٥هـ) المحقق: عبد القادر أحمد عطا مراجعة وتعليق: أحمد عبد التواب عوض دار النشر: دار الفضيلة.

٢٦- البرهان في علوم القرآن المؤلف: أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (المتوفى: ٧٩٤هـ) المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم / الطبعة: الأولى، ١٣٧٦ هـ – ١٩٥٧ م / الناشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه. .

٢٧- التبيان في تفسير غريب القرآن المؤلف: أحمد بن محمد بن عماد الدين بن علي، أبو العباس، شهاب الدين، ابن الهائم (المتوفى: ٨١٥هـ) المحقق: د ضاحي عبد الباقي محمد / الناشر: دار الغرب الإسلامي – بيروت / الطبعة: الأولى – ١٤٢٣ هـ.

٢٨- خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية (رسالة دكتوراه بتقدير ممتاز مع مرتبة الشرف الأولى) المؤلف: عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني (المتوفى: ١٤٢٩هـ) الناشر: مكتبة وهبة / الطبعة: الأولى، ١٤١٣ هـ – ١٩٩٢ م.

٢٩- خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية (رسالة دكتوراه بتقدير ممتاز مع مرتبة الشرف الأولى) المؤلف: عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني (المتوفى: ١٤٢٩هـ) الناشر: مكتبة وهبة الطبعة: الأولى، ١٤١٣ هـ – ١٩٩٢ م.

٣٠- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني المؤلف: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ) المحقق: علي عبد الباري عطية / الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت / الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ.

٣١- غريب القرآن المؤلف: أبو محمد عبد الله بمسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: ٢٧٦هـ) المحقق: أحمد صقر / الناشر: دار الكتب العلمية (لعلها مصورة عن الطبعة المصرية) السنة: ١٣٩٨ هـ – ١٩٧٨ م .

٣٢- معترك الأقران في إعجاز القرآن، ويُسمَّى (إعجاز القرآن ومعترك الأقران) المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ) دار النشر: دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان / الطبعة: الأولى ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م.

٣٣- المفردات في غريب القرآن المؤلف: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (المتوفى: ٥٠٢هـ) المحقق: صفوان عدنان الداودي الناشر: دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت الطبعة: الأولى – ١٤١٢ هـ.

رابعًا: كتب اللغة والمعاجم:

٣٤- التعريفات المؤلف: علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: ٨١٦هـ) المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر: دار الكتب العلمية بيروت –لبنان الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م.

٣٥- تهذيب اللغة المؤلف: محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ) المحقق: محمد عوض مرعب الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م .

٣٦- دستور العلماء = جامع العلوم في اصطلاحات الفنون المؤلف: القاضي عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد نكري (المتوفى: ق ١٢هـ) عرب عباراته الفارسية: حسن هاني فحص / الناشر: دار الكتب العلمية – لبنان / بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م.

٣٧- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية المؤلف: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ) تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار الناشر: دار العلم للملايين – بيروت الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م.

٣٨- كتاب: العين المؤلف: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: ١٧٠هـ) المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي الناشر: دار ومكتبة الهلال، باب القاف والدال والميم..

٣٩- الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية المؤلف: أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (المتوفى: ١٠٩٤هـ) المحقق: عدنان درويش – محمد المصري / الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت.

٤٠- لسان العرب المؤلف: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقي (المتوفى: ٧١١هـ) الناشر: دار صادر – بيروت / الطبعة: الثالثة – ١٤١٤ هـ.

٤١- مجمل اللغة المؤلف: الإمام / أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا بن محمد بن حبيب (اللغوي) المتوفى (٣٩٥ هـ) دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان / دار النشر: مؤسسة الرسالة – بيروت / الطبعة الثانية – ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦ م.

٤٢- المحكم والمحيط الأعظم المؤلف: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسى [ت: ٤٥٨هـ] المحقق: عبد الحميد هنداوي الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠٠ م.

٤٣- المعجم الوسيط المؤلف: مجمع اللغة العربية بالقاهرة / (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار) الناشر: دار الدعوة.

٤٤- معجم لغة الفقهاء المؤلف: محمد رواس قلعجي – حامد صادق قنيبي / الناشر: دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع / الطبعة: الثانية، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م.

خامسًا: كتب البلاغة والأدب:

٤٥- كتاب دلائل الإعجاز المؤلف: أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (المتوفى: ٤٧١هـ) المحقق:

محمود محمد شاكر أبو فهر الناشر: مطبعة المدني بالقاهرة – دار المدني بجدة الطبعة: الثالثة ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م،

٤٦- مفتاح العلوم المؤلف: يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي الخوارزمي الحنفي أبو يعقوب (المتوفى: ٦٢٦هـ) ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان الطبعة: الثانية، ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م.

سادسًا: كتب أخرى:

٤٧- أبجديات البحث في العلوم الشرعية د فريد الأنصاري / طبعة الدار البيضاء ١٩٧٧م.

٤٨- البحث العلمي أساسياته النظرية وممارسته العملية المؤلف: رجاء وحيد دويدري / الناشر: دار الفكر المعاصر- بيروت- لبنان-دار الفكر- دمشق-سورية / الطبعة: الأولى - جمادى الآخرة ١٤٢١ هـ- أيلول سبتمبر ٢٠٠٠م.

<u>المواقع الالكترونية:</u>

٤٩- https://www.aletihad.ae/article/25560/2016 إعجاز قرآني في تقديم السمع على البصر / ١٣ يونيو ٢٠١٦ ١٥:١٤ عبر موقع الانترنت.

References

First, The Holy Quran

Second: Exegesis books

1- Irshad Al-Akl As-Salim ela Mazaya Al-Kitab Al-Karim, Abu As-Saud Al-Emadi Muhammad bin Muhammad bin Mustafa, Dar Ihyaa At-Turath Al-Arabi – Beirut.

2- Anwar At-Tanzil wa Asrar At-Taweel ،Nasser Ad-Din Al-Baydawi, Dar Ihyaa Al-Turath Al-Arabi – Beirut First Edition 1418 AH .

3- Tafsir Al-Quran Al-Hakim (Tafsir Al-Manar), Muhammad Rashid, General Egyptian Book Organization.- 1990AD .

4- Lubab at-Taweel fi Maani At-Tanzeel, Alaa Ad-Din Ali bin Mohammed ،known as Al-Khazin ,Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah – Beirut / Edition: First - 1415 AH.

5- Third: Quran Sciences Books

6- Al-Itqan1fi Uloum Al-Quran, Jalal Ad-Din Al-Suyuti, Egyptian General Book Organization, Beirut – Lebanon / First Edition: 1408AH - 1988AD.

7- Al-Mufradat fi Ghraeeb Al-Quran, Ar-Ragheb Al-Asfahani ،Dar Al-Qalam, Dar Ash-Shamiya - Damascus, Beirut, 1st Edition - 1412 AH.

8- Fourth: Language Books and Dictionaries :

9- Kitab At-Tarifat, Al-Jurjani ،Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah ،Beirut-Lebanon, 1st Edition ,1403AH-1983AD.

10- Tahzib Al-Lughah, Abu Mansour ،Dar Ihyaa Al-Turath Al-Arabi – Beirut First Edition, 2001AD.

11- Lisan Al-Arab, Ibn Manzour, Dar Sader – Beirut / Third Edition - 1414AH.

Fifth: Rhetoric and Literature Books :

12- Kitab Daleal Al-Ijaz ،Al-Jurjani ،Al-Madani Press in Cairo - Al-Madani House in Jeddah, Edition: Third 1413AH - 1992AD.

13- Muftah Al-Ulum, As-Sakkaki Al-Khwarizmi Al-Ḥanafī, Dar al-Kutub Al-Ilmiyyah, Beirut –Lebanon, Second Edition, 1407AH - 1987AD.

Sixth: Other books.

14- Al-BaHth Al-Ilmi Asasyatuh An-Nazariyyah wa Mumarastuh Al-Amaliyyah, Rajaa Waheed Dweidari, Dar Al-Fikr Al-Muaasir - Beirut - Lebanon - Dar Al-Fikr - Damascus – Syria, First Edition 1421AH -2000AD

Websites

15- Iejaz Quraani fi Taqdeem As-Samaa ala Al-Basr, https://www.aletihad.ae/article/25560/2016 13 June 2016 15:14 via the website.

فهرس الموضوعات

م	الموضوع
١	مُلخص البحث باللغة العربية
٢	مُلخص البحث باللغة الانجليزية
٣	المُقدمة
٤	التمهيد: بيان معنى التقديم والتأخير لغة واصطلاحًا، وأهمية التقديم والتأخير، وأغراضه
٥	المبحث الأول: التقديم والتأخير وعلاقته بالسياق في آيات الإنس والجن
٦	المبحث الثاني: التقديم والتأخير ودلالته على أهمية المُقدم في آيات السمع والبصر
٧	المبحث الثالث: التقديم والتأخير وعلاقته بالسياق في آيات السماء والأرض
٨	المبحث الرابع: التقديم والتأخير ودلالة المقدم على السبق الزمني. في آيات اللعب
٩	الخاتمة
١٠	فهرس المصادر والمراجع.
١١	فهرس الموضوعات.